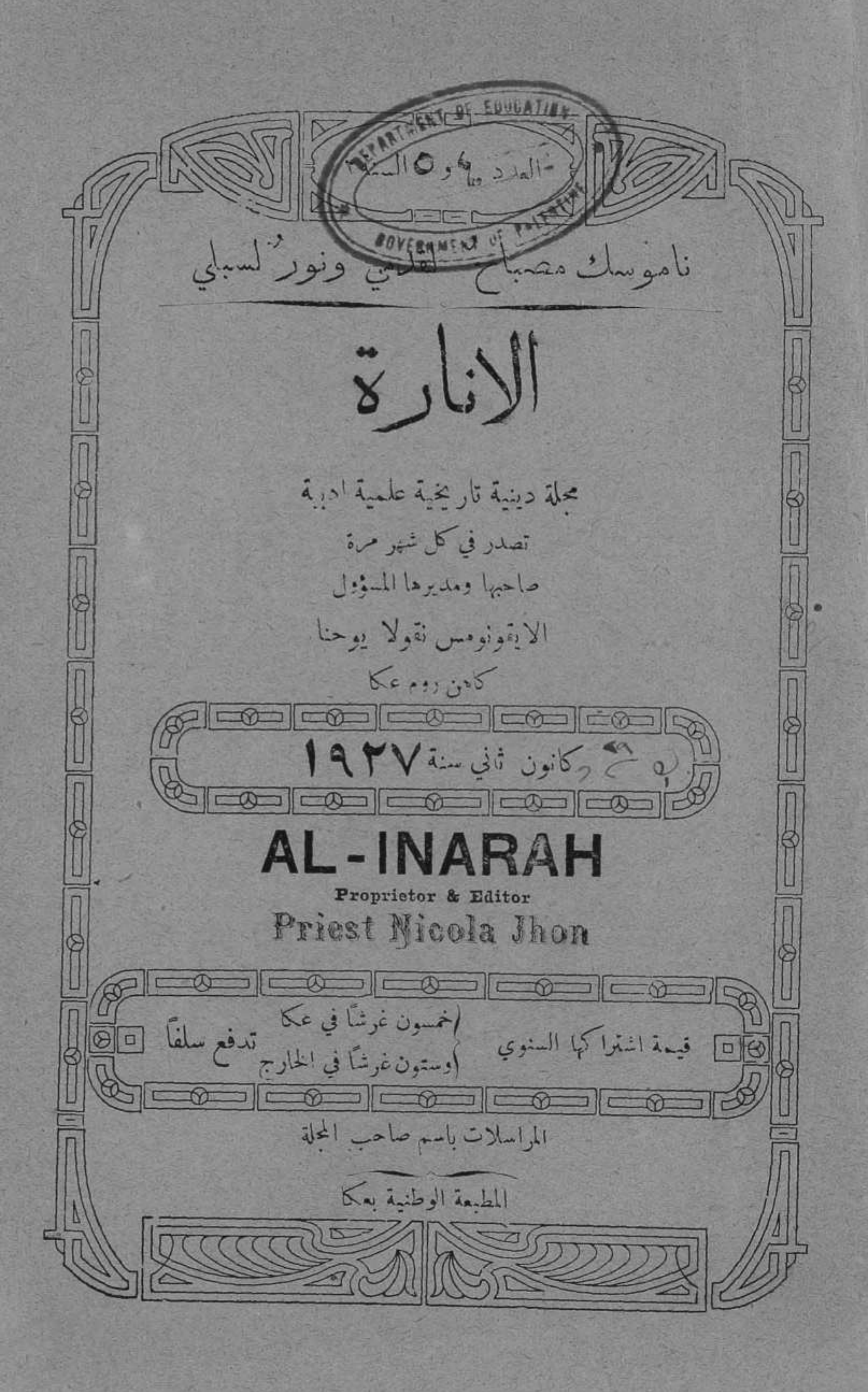


ناموسك مصباح لقدمي ونور لسبلي

الانارة

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

تصدر في كل شهر مرة

صاحبها ومديرها المسؤول

الايقونومس نقولا يوحنا

كاهن روم عكا

كانون ثاني سنة ١٩٣٧

AL-INARAH

Proprietor & Editor

Priest Nicola Jhon

قيمة اشتراكها السنوي خمسون غرشاً في عكا وستون غرشاً في الخارج تدفع سلفاً

المراسلات باسم صاحب المجلة

المطبعة الوطنية بعكا

العددان ٤ و ٥ السنة ٢

الأنارة

مجلة دينية تاريخية علمية ادبية

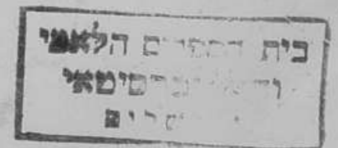
عكا * كانون ثاني سنة ١٩٢٧

لمعة في الادب

تمسك بالتأديب ولا تطلقه · ارعه فانه حياة لك

(امثال ٤ : ١٣)

ما زال نبلاء البشرية وحكماؤها ولا يزالون في كل عصر ومصر ينادون بما هو خليق بالانسان ولائق به وينبهون على ما يجب الابتعاد عنه والاحتراس منه بحيث يصير الانسان انسانًا حقًا فبنوا قواعد التأديب ورتبوا قوانينه واحكموا نظامه مبينين المضار الجسيمة التي تضر بالانسانية اذا لم تحفظ ما هو مستحسن منتقى ومحثين على البدار الى ما يجلب المنافع ويوطد بناء الجماعة مرددين في كل عصرٍ ومصرٍ كلمات الحكيم « تمسك بالتأديب ولا تطلقه · ارعه فانه حياة لك »



لمـّا كانت القوّة الناطقة التي بها شرف الانسان وبها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح كان اذا ما تهذبت هذبت القوتين الشهوانية والغضبية فتكف صاحبها عن الرذائل والفواحش وتحمله على عمل الخير والتودد والرقة وسلامة النية وصفاء السريرة والحلم والحياء والعفة وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة وغير ذلك فتتمهد امامه عقبات مسالك الحياة وتتوفر له الاسباب فيعيش في فيحاء الرغد والهناء متمتعاً من ملذات الدنيا بما هو ضمن دائرة الادب والاَّ تسلطت قوتاه الشهوانية والغضبية وملكتاه فجاء فاجراً شريراً يعيش في حزون الطيش ومعاقل الكسل والخمول عاملاً بالجهل مصدر كل شرّ وضرٍ فيكون عمله وبالاً عليه وعلى ذويه وعثرة للآخرين قال

الله من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنى من الشوك عنباً او من العوسج تيناً هكذا كل شجرة تثمر ثمراً جيداً والشجرة الردئة تثمر ثمراً رديئاً » (متى ٧ : ١٦ و ١٧)

فعلى ما يتربى الانسان يسلك ولا يحيد عن طريقه ولو شاخ فاذا ما حسنت تربيته وحمد تهذيبه كانت اعماله قويمة واذا فسدت كانت افعاله ذميمة « فالرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج الصالحات والرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الشرور » (متى ١٢ : ٣٥)

لعلى الفرد يتوقف المجموع فاذا ما تهذبت الافراد وتربت على سنن

الفضائل واصول الدين . متهذب المجموع . و كان افراده اعضاء جسم واحد هو الالفة والفاعل الاول في الفرد هو التهذيب في الطفولية اذ يكون الانسان صالحاً لما يعجن في عقله ومهياء لما يأصل في لبه كالغصن فانه ما زال في لينه يصلَّح و يقَّوم واذا كبر وصلب عجز عن تقويمه فيبقى عمره على اعوجاجه . قال الشاعر :

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت   ولا يلين اذا قومته الخشب

فالسهر اذن والتيقظ على الاحداث واجبان لان عليهما يتوقف مستقبل الالفة واعلاء شأنها وترقيها في مراقي الفلاح و بذلك يكون السبيل لنجاح البلاد فالبدار البدار الى تحسين الطباع والموائد وتهذيب الاخلاق بالنصائح وتثقيف العقول بالتعاليم لنجني ثمار الراحة والسلام من دانية القطوف ونحيى في نعيم الرغد وظلال الانسانية الحقة متضافرين متعاونين كأنا اعضاء جسم واحد خص كل عضو بعمل يقوم به

من المقرر انه اذا صح الاساس وكان متيناً كان البناء قوياً وطيداً وهكذا اخلاق الاحداث اذا ما أُسست على الاصول المختارة والمبادي القويمة كانت مباني الالفة عزيزة منيعة لا تقوى عليها زعازع الشهوات ولا تزلزلها عواصف الاهواء بل تزداد مع الايام مناعة واعلاء شان

هلم اذن ايها الآباء نهذب اخلاق ابنائنا في حداثتهم ونؤدبهم على القواعد الحميدة فأي انسان منكم لا يميل الى التقدم و يحب الاعتلاء في

سلم الانسانية ؟ ام ايے رجل لا يبحث عن الذرائع التي توصله الى مناه والوسائل التي تنيله مشتهاه ؟ من منكم يقدر على ان ينكر ان لا ميل له نحو بنيه ولا حب ولا حنو ؟ من منكم يرغب في ان لا يتقدم بنوه ما من احد فما هي الوسيلة اذن لذلك ؟ هي حسن التربية فعليكم اذن ان تلقنوا الاحداث مبادىء الادب مثقفين اخلاقهم بثقاف الحكمة قالعين ما في غريزتهم من الميل الى الشر بساعد الفطنة . قال سليمان الحكيم « اختاروا تأديبي لا الفضة » (ام ٨ : ١٠)

اسهروا على صلاحهم ابعدوا عنهم الملاهي المضرة حببوا اليهم الشغل ومودَّة القريب وبغضوهم في الكسل والرذائل قربوهم من الله بان تحملوهم الاستمساك بعرى الدين والانقياد الى ذوي السلطة بالاحترام ابعدوهم عن الشر بان تجعلوهم يشمأزون مما هو قبيح ويكرهون ما هو ممقوت مرذول عودوهم الطاعة وحب الخير والصبر عند التجربة واغرسوا في عقولهم اغراس كل فضيلة صموا آذانهم عن سماع كل قبيحة اغمضوا بصائرهم عن كل محرَّم غلوا ايديهم عن كل منكر فيخرجون من باب الصبوة الى باحة الشبيبة بمطارف الاداب الحميدة واكلة الاخلاق الحسنة جديرين بكل كريمة اهلين لكل عمل حسن خليقين باي مرتبة من مراتب التقدم والفلاح عارفين بما عليهم من الفرائض نحو آبائهم فيوفونهم حقوق الوالدية عالمين بما يجب عليهم ولهم نحو كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية فلكم

يسر الوالدان عند رؤيتهما اولادهما على هذه الحالة متتبعين اثر الفضائل عاملين بما هو محمود مستحسن قال سليمان الحكيم «الابن الحكيم يسرّ اباه» (أم ١٠ : ١) قال نتيثيوس الفيلسوف «الحكيم يعمل بمقتضى حميد الخصال» وبالعكس اسي ان الابناء العارين من التهذيب التمرسين يتخطرون في الشبيبة سكارى من خمرة الجهل يتيهون عجباً في معاهد الترفه والكسل يطرحون حقوق الآباء في زوايا الاهمال و ينبذون شرائع الدين والادب يمزقون الصفحات التي كتبت عليها الفرائض المفروضة نحو كلٍّ من مجموع الالفة وهلم جرا

ان في هذا لحزن شديد للوالدين وكرب وغم «الابن الجاهل كرب لابيه ومرارة للتي ولدته» (امثال ١٧ : ٢٥)

قال شبيب بن شيبة اطلبوا الادب فانه مادة العقل ودليل على المروءة وصاحب في الغربة ومؤنس في الوحشة . قال بزرجمهر : من كثر ادبه شرّف وان كان وضيماً وساد وان كان غريباً وارتفع صيته وان كان خاملا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيراً

وقال حكيم : الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة و يفيد الرغائب الجليلة فالبسوه حلة وتزينوا به حلية

الكنيسة والمدرسة

لا ريب ان هذين المعهدين الشريفين هما ينبوع الصلاح ومنشأ الخير والنجاح وهما قوتان عظيمتان ترفعان الطبيعة البشرية من حضيض الغباوة والجهل الى سماء التمدن والمعارف وعنصران يغيران وجه البسيطة ويخضعان ما عليها لارادة الانسان

ولذا

نرى الشعوب المتمدنة يعتبرونهما اساساً لصرح الهيأة الاجتماعية بل محوراً تدور عليه الكرة الارضية فعرفوا قدرهما وسعوا لتعزيز شؤونهما وبذلك ارتفع مقامهم في كل صقع وناد وعاشوا في بحبوحة الرغد والهناء

وعكسهم

من اهملوا امر هذين الركنين او عززوا احدهما وذللوا الآخر فانهم قضوا ايامهم بالتعاسة والشقاء لان الكنيسة والمدرسة هما فرقدان لا يفارق احدهما الآخر او على حد قول احد الفلاسفة « هما دولابان اماميان لمركبة التمدن الى ساحة التقدم » فاذا بطلت حركة الواحد وقف الآخر وهذا هو عين التأخر

ولا يخفى ان الانسان يرتقي بين الكائنات بترقي عقله فالاصلاح الادبي والتقدم الروحي هما ضروريان له كالخبز والماء ولا يمكن ان يكون الانسان كاملا الا بهذين المعهدين معاً لانه لو حصرنا المدرسة في

دائرة تقدم العقل فقط لكان لنا منها انسان مجرّد عن العبادة يشغل قوى عقله للحصول على رغائبه الدنيوية واذا جردنا الكنيسة عن المدرسة فيكون لنا منها انسان اديب كريم الاخلاق طائع لكنه بدون علم وغير كفوء للتقدم

وبناءً على ما تقدم يجب ان نبذل قصارى الجهد لتعزيز هذين الركنين وترقيتهما ولا يحصل ذلك الا بالتعاون وعضد أحدهما الآخر اي ان يكون اساس التعليم في المدارس العلوم الدينية وان يعتني الاساتذة والمفتشون والمديرون بامر المدارس وتعميمها ونجاحها أكثر مما هي عليه من التقدم والفلاح والرقي والنجاح

حكم ونصائح

من تعاليم السيد المسيح « العبودية ترك الدعوى واحتمال البلوى وحب المولى !

من اطاع الله تعالى جلّ وارتفع ومن عصاه ذلّ واتضع

من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة . ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل . ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس الطمع اجتنى الكمد »

باب

المباحث الروحية

صورة الله ومثاله في الانسان

قال كاتب التكوين موسى في كلامه عن خلقه الانسان ما نصهُ «وقال الله لنصنع الانسان على صورتنا وعلى مثالنا» (تك ١ :٢٦) وقد اتمَّ الله هذا القول بالفعل «فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقهُ ذكراً وانثى خلقهما (تك ١ : ٢٧)

ففي الآية الاولى يقول ان الله سبحانه وتعالى قد اراد ان يخلق الانسان على صورتهِ وعلى مثالهِ واما في الاية الثانية فيقول ان الله قد خلق الانسان على صورته بدون ان يذكر وعلى مثاله · فهل صورة الله ومثاله في الانسان شيء واحد او يوجد فرق بين الصورة والمثال واذا كان فرق ما فلماذا اهمل موسى ذكر المثال في الآية الثانية واقتصر على ذكر الصورة فقط؟

فنجيب

انه لما كان الله جلَّ جلاله روحاً طاهراً خالياً من الجسمية والمادية لزم ان يكون وصف الانسان بصورة الله ومثاله مختصاً بنفس الانسان الروحية لا بجسده المادي · وقد ايد هذهِ الحقيقة جميع آباء الكنيسة الافاضل ومعلميها الاماثل وملخص اقوالهم بخصوص صورة الله في الانسان وهو انه لما كان الله تعالى اسمهُ روحاً حاوياً جميع خواص الروح الذاتية اعني بها العقل والحرية والخلود وجب ان تكون صورة الله في الانسان منتسبة الى نفس الانسان من حيث قواها الروحية التي هي العقل والارادة الحرة وعدم الفناء اسي الخلود ويرتاءي بعض الاباء القديسين انه لما كان الله الروح الطاهر هو واحد بالجوهر ومثلث بالاقاليم فنستطيع

ولو بنوع ضعيف ان . ننسب صورة الله في الانسان الى وحدة نفسه ومثلث قواه الروحية كيفما اردنا تسميتها اي الذاكرة والفكر والارادة او العقل والنطق والروح او العقل والارادة والعاطفة.

وهاك

ما يقوله بهذا الصدد القديس امبروسيوس « الله الآب الله الابن الله الروح القدس ولكن لا ثلاثة آلهة بل اله واحد بثلاثة اقانيم . كذلك ايضاً النفس عقل النفس ارادة النفس ذاكرة لا ثلاث نفوس في جسد واحد بل نفس واحدة بثلاث قوى روحية وفي هذه القوى الثلاث تظهر صورة الله في انساننا الداخلي على أبدع مثال

(كتاب عن قوى الانسان الروحية فصل ٣)

ثم ان البعض الآخر من آباء الكنيسة ومعلميها العظام مثل يوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس النيسي وافسابيوس وابيفانيوس وثادوروطس يرتأون ان صورة الله في الانسان تعني سلطة الانسان على سائر الخلائق الارضية كما ان الله جلت قدرته هو رب البرايا وسيدها وملكها . قد بنوا رأيهم هذا على قول الله تعالى في سفر التكوين اذ قال « لنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا » وقد ارذف قوله هذا بالاضافة الآتية وهي »، ليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض وكل الدبابات الدابة على الارض » (تكوين ١ : ٢٦) على ان سلطة الانسان هذه على سائر الخلائق الارضية انما هي نتيجة صورة الله الموجودة في نفس الانسان اي في قواها الروحية التي هي العقل والفكر والارادة الحرة والتي بها وحدها يمتاز الانسان على سائر انواع الحيوان . وقد يمكننا ان نقول مع القديس يوستينوس والقديس ايريناوس والمغبوط اوغسطينوس ان صورة الله موجودة ايضاً في الجسم الانساني لان تركيبه البديع ومنظره الجليل ولا سيما هيئة وجهه ورأسه التي تمكنه من الشخوص ببصره الى العلاء هذه كلها دلائل خارجية على قوى نفسه الروحية اعني بها العقل والاختيار والسلطة الملوكية على سائر الخلائق الارضية

وبوجه الاجمال ان صورة الله موجودة في الانسان كله لا في جزء واحد من اجزائه او في قوة واحدة من قواه الروحية ·

فهذا ما كان من جهة صورة الله في الانسان واما ما كان من جهة مثال الله في الانسان فان اكثر آباء الكنيسة ومعلميها الاعلام يرون فرقاً واضحاً بين الصورة والمثال وخلاصة اقوالهم في هذا الشان هي ان الصورة موجودة في ذات طبيعة النفس الانسانية اي في العقل وفي الارادة الحرة واما المثال ففي قدرة الانسان على التشبه والاقتداء بالكمالات الالهية على قدر الامكان وبالتالي ان الصورة نأخذها من الله مع الكيان واما المثال فيقتضي ان نحصل عليه بقوة التشبه والاقتداء التي منحنا الله اياها · وهاك ما يقوله بهذا الشأن قطب آباء الكنيسة القديس يوحنا الدمشقي «ان قول الكتاب على صورتنا يدل على قوة العقل وعلى قوة السلطة الذاتية وقوله على مثالنا يدل مماثلة «الله» بالفضيلة على قدر الامكان « كتاب الايمان القويم ٢ :مقالة ١٢ »

فالصورة موجودة في طبيعة الانسان ثابتة فيها غير منفكة عنها واما المثال اي مماثلة الله بالفضيلة فهو متعلق بارادة الانسان اذا اراد حصل عليه والا فلا · وهاتان الحقيقتان يؤيدهما الكتاب ايضاً :

اما الحقيقة الاولى اي ان صورة الله غير منفكة في الانسان حتى بعد سقوطه في الخطيئة فيؤيدها قول الله لنوح بعد الطوفان «من يسفك دم انسان فدمه يسفك عوضاً عنه لاني بصورة الله صنعت الانسان» «تك ٩ : ٦» واما الحقيقة الثانية اي ان مثال الله اي الاقتداء بكمالات الله انما هو متعلق بارادة الانسان فيؤيدها قول الرسول الى مسيحيي افسس «البسوا الانسان الجديد الذي خلق على مثال الله في البر وقداسة الحق »(افسس ٤ : ٢٤)

والخلاصة

ان الصورة هي النفس بجميع قواها الروحية واما المثال فهو مماثلة الله بفضائل الادبية ·

ما كان خيراً من جهة ذكر الصورة والمثال في قول الله تعالى «لنصنع الانسان على صورتنا وعلى مثالنا» «تك ١ :٢٦» ومن ثمَّ اهمال موسى النبي ذكر المثال واقتصاره على ذكر الصورة فقط بقوله «فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه» «تك ١ :٢٧» فندع الكلام بهذا الصدد للقديس غريغوريوس النيسي الذي يقول «لماذا لم يتم الله ما عزم على اتمامه ؟ لماذا لا يقول الكتاب : وخلق الله الانسان على صورته وعلى مثاله؟ العل الخالق قد ضعفت قدرته ؟ على ان هذ القول كفر وخيم العلهُ تعالى اسمه قد غير عزمهُ ؟ على ان هذا ايضاً كفر وضلال . العله قال ثم غير المقال ؟ كلا وحاشا . فلا الكتاب يقول ولا الخالق ضعفت قدرتهُ ولا ما عزم الله عليه لم يتممه اذن ما سبب هذا السكوت؟ لنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا . اما الصورة فنحصل عليها بحسب خلقتنا واما المثال فنحن نتممهُ باختيارنا . فكوننا على صورة الله هو من خصائص طبيعتنا بحال خلقتنا واما صيرورتنا على مثال الله فتتعلق بارادتنا وهذا التعلق بارادتنا موجود فينا بالقوة فقط وانما نحصل بالفعل اينماً بواسطة جدنا واجتهادنا فلو ان الرب عندما عزم على خلقتنا لم يقل: لنصنع الانسان على مثالنا ولو لم يخولنا القوة لنكون على مثاله لما كنا نحن قادرين ان نكون على مثال الله بمجرد قوتنا اما الان فنحن قد اخذنا في الخليقة قوة نتمكن بها من مماثلة الله . على ان الله الذي اعطانا هذه القوة قد فوض الينا امر صيرورتنا على مثال الله وذلك لكي نكون اهلاً للثواب الجميل على اجتهادنا ولا نكون كالتصاوير العادمة النفس التي يصنعها المصورون

القديس يوسف الخطيب

ان اسم يوسف الخطيب دائماً نراه مقروناً مع اسم والدة الاله مريم العذراء لانه كان رفيقاً لها وحارساً على بتوليتها . وحياة هذا الشيخ اسمى مثال العيشة الطاهرة . التقليد الشريف والكتاب المقدس يخبران قليلاً عن عيشة هذا الشيخ ولكن هذا كاف لنرى من كان ذاك الرجل الذي خُطب الى مريم العذراء الدائمة البتولية

ان يوسف كان من عشيرة الملك داود ثم لما مات هالي بدون نسل اقترنت امه بيعقوب اخي هالي الذي كان يجب عليه بحسب الناموس ان يقيم نسلاً لاخيه فمن هذا الاقتران ولد يوسف وكان بحسب الجسد ابن يعقوب واما بحسب الناموس فابن هالي ولهذا متى البشير سمى يوسف بن يعقوب (متى ص ١ ع ـ ١٦) واما الانجيلي لوقا فيسميه ابن هالي [لوقا ص ٣ ع ـ ٢٣]

وكان يوسف يشتغل بالنجارة وكان فقيراً وبالكاد كان يقدر على تحصيل قوته اليومي من تعب يديه والى سن الثمانين من عمره كان عائشاً عيشة البساطة اميناً ومستقيماً . وبحسب التقليد الذي كتبه يوحنا الذهبي الفم انه كان له امرأة اسمها سالومه وكان له منها : يعقوب وشمعان ويوسي

واستير وتامار واوثا وبسمية البشير صديقاً كما يقول الانجيلي متى ص١ع١٢ فيوسف رجلها اذ كان باراً فتسميته هكذا تخبرنا عن احساناته وفضائله الكثيرة . وبعد موت امرأته سالومه بقي يوسف عائشاً مترملاً متضيا باقي ايامه بكل طهارة وقد شاء الاله ان يخفي عن ابليس سر تجسد ابن الله من البتول ساتراً بتوليتها بسر الزواج لكي لا يعرف العدوان هذه هي العذراء التي تكلم عنها اشعياء النبي ص٧ ع١٤ ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل او كما يقول القديس يوحنا الدمشقي لكي لا يحرك هذا العدو هيرودس واليهود المراقبين على العذارى هل تلد احداهن بلا رجل ؟ ولما بلغت العذراء سن الرشد خطر في بال اليهود ان مريم لا تقدر ان تعيش اكثر من في الهيكل والكهنة الموكلون بامرها اخذوا يستشيرون ارادة الله ماذا يفعلون بالعذراء حينئذ رئيس الكهنة زخريا ابو يوحنا المعمدان السابق اخذ اغصانا من اثني عشر شيخاً من اقاربها ووضعها على المذبح وطلب الى الرب قائلاً يا رب اظهر لنا الذي يجب ان يتحد مع هذه العذراء وللحال ازهر عرق يوسف . فذهب الشيخ الارمل وله من العمر نحو ثمانين سنة من الناصرة الى اورشليم واستلم تحت حمايته العذراء المكرسة لله تحت برقع الخطيئة الشرعية ومن ذلك الوقت صارت حياة يوسف غير منفصلة عن حياة والدة الاله وصار شاهداً عيانياً للمراحم الالهية التي حدثت معها والامور الفائقة الطبيعة ولكنه لم يمكنه في بادئ الامر ان

يدرك سر خدمته بل اخذ يفكر كما يفتكر كل انسان ولذلك لما وجدت والدة الاله الكلية القداسة حاملاً اضطرب الشيخ البار ولم يدرِ ماذا يعمل أيشهر العذراء ام يخفي امرها

ومعلوم ان الاشهار يجري وراءه القصاص بالموت لان ناموس موسى يقضي برجم من وجدت بحالة كهذه من العذارى واخفاء الذنب يكون دليلاً واضحاً على التسليم بالذنب

وكانت نفس الشيخ الطاهرة في اشد الاضطراب فيقول لنفسه : أأترك هذه العذراء سراً أأدعها تذهب الى حيث تريد ؟ او اتركها انا فلا تعود اعين الناس ترى هذا العار فنام وهذه الافكار المزعجة تتقاذفه وفي الحلم اتاه ملاك الرب وقال له يا يوسف بن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك لان المولود منها من الروح القدس وستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع وهو يخلص شعبه من خطاياهم متى ص ١ عـ ٢ — ٢١) ومن ذلك الحين اخذ يوسف يخدم خطيبته البتول خدمة كعبد لسيدته بخوف وورع وكانت مريم خطيبته المزمعة ان تكون اماً للرب عائشة في ناصرة الجليل مع عائلته الفقيرة

حدث ان اغسطس قيصر اصدر امراً ان تكتتب كل المسكونة اي ان يجري اكتتاب عام لجميع رعايا المملكة الرومانية ولهذا كان يجب على كل شخص ان يذهب الى المدينة التي تحسب موطن اجداده ويكتتب

اسمه ويدفع جزية معلومة فصعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود ومن عشيرته ليكتتب مع مريم امرأته وهي حبلى

اما بيت لحم فكانت في ذلك الوقت مدينة حقيرة مزدحمة بجماهير الناس الذين اجتمعوا من جهات العالم المختلفة لسبب الاكتتاب وكانت البيوت ضائقة بهم والمحل المعد لنزول الغرباء ايضاً لم يكن فيه محل فارغ وبعد التفتيش وجدت مغارة جعلها مأوى له ولخطيبته ولدابته

وفي اثناء ذلك قد قرب وقت ولادة العذراء ثم اتى الليل الذي لم يكن له نظير وتمت فيه نبوة اشعياء وولد الاله والانسان معاً واعطي الشيخ البار حسبما تقتضي واجبات الآباء وحسبما انذره الملاك اسما للمولود جديداً واجرى عليه في اليوم الثامن الختان وقدم للهيكل بكر مريم لتقديسه وتكريسه لله وبدهشة عظيمة سمع كلمات الشيخ الذي اخذ الصبي على ذراعيه وبارك الله وسماه يسوع مخلصاً لكل الناس ونور اعلان للامم ومجداً لاسرائيل وبعد ذلك عاد فظهر الملاك ليوسف وامره قائلا قم وخذ الصبي وامه واهرب الى مصر وامكث هناك حتى اقول لك لان هيرودس مزمع ان يقتل الصبي فترك الشيخ البار ملجأه في بيت لحم واخذ الصبي وامه في ذلك الليل وسار بهما الى مصر واينما حلت هذه العائلة المقدسة زاين القساوة وتهدم اصنام الوثنية وكانت البرية القاحلة تخرج لهم

غذاءهم وبقي يوسف في مصر الى موت هيرودس فدعي الى ارض اسرائيل من الملاك وكان اذ ذاك متملكاً على اليهودية ابن هيرودس ارخيلاوس الذي لم يكن دون ابيه شراً وقساوة فلما سمع يوسف بقساوته خاف ان يذهب فظهر له الملاك وحسب امره سافر الى الجليل الى الناصرة حيث سكن ومن ذلك الحين اختفى فقر هذه العائلة عن اعين الناس واخذوا يصرفون ايامهم بهدو وكان الصبي يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس وكانت مريم تعتني به كما تعتني الام بولد تحبه من كل قلبها وكان يوسف يتمم وظيفة الاب يطعمها من تعب يديه وكان الطفل يسوع خاضعاً ليوسف ومريم وبقي يوسف نجاراً هادئاً بسيطاً وكانوا كل سنة يذهبون الى اورشليم على عيد الفصح وبقي يوسف عائشاً حتى صار الصبي من العمر اثنتا عشر سنة وكان قد ادهش الكتبة وشيوخ اليهود بحكمته ومن بعد هذا لا يذكر شيء في الانجيل عن يوسف

وورد في التقليد ان هذا الشيخ عاش مئة وعشر سنوات فاذاً مات قبل الاعتماد بقليل وتذكار يوسف الخطيب تقيمه الكنيسة في ٢٦ كانون اول ثاني يوم عيد الميلاد اما خدمته فتقام مع خدمة ابنه القديس يعقوب الرسول اخي الرب (عن الروسية)

الرمله نايف حاماتي

سيرة القديس جاورجيوس

تابع لما قبله

غير انه قد ظهرت في ذلك الوقت سحابة مظلمة مع رعود قوية جداً وسمع صوت عظيم صارخاً « لا تخف يا جاورجيوس لاني انا معك » وبعد هذا قد راق الجو صافياً اكثر مما كان

واذ

بانسان متردٍ بحلة بيضاء منبعثة من وجهه انوار ساطعة قد شوهد من جميع الحاضرين بالقرب من الدولاب المطروح القديس تحته ثم مد يده (المتردي بالحلة البيضاء) معانقاً الشهيد وقائلاً له « السلام لك »

اما الجنود والجمع الحاضر فلم يجسر احد منهم ان يدنو من الشهيد ليحله من الرباطات بالدواليب كأمر الملك الا انه بعد ان زالت الرؤيا وغاب ذلك الشخص المهاب حينئذ شاهدوا القديس محلولا من الرباطات صحيحاً معافى مرنماً بتسبيح الشكر والمجد لله

فهذا

الامر ملاءهم من الانذهال والاستغراب وبهتوا صامتين غير ان الجنود قد اسرعوا بالذهاب الى الملك الذي كان لم يزل في هيكل ابلوس ليخبروه بما حدث فالقديس تبعهم ووقف امام ديوكلانسيانوس الملك الذي لم يشأ ان يصدق ما اخبره به الجند ولا بان الشهيد الحاضر

الواقف امامه كان هو شخص جاورجيوس بل ظنه رجلا شبيهاً به او انه كان تمثالا مصنعاً غير ان هذا الظن والشك قد زالا حتى ومن الجميع معاً عندما تحققوا ان ذاك الانسان هو حقاً جاورجيوس المتكلم عن ذاته انه هو هو بعينه

حيث

قد فحصوه فحصاً دقيقاً فعرفوه وعندها أبكموا مبهوتين ثم ان اثنين من ارباب البروطورين اسم احدهما اناطوليوس وثانيهما بروطولاون اللذين كانا قبلا ارتشدا بمبادي الايمان المسيحي فهذان عند مشاهدتهما العجب المار ذكره قد استوعبا ايماناً حياً وصرخا هاتفين « ان اله المسيحيين هو وحده الاله الحقيقي ولا اله آخر سواه »

غير

ان الملك لما سمع ما تكلما به قد امر باخذهما حالا الى خارج المدينة وبان تقطع هامتيهما من دون فحص ولا محاكمة وهكذا تم الا ان الكثيرين من الذين كانوا آمنوا قبلا (اي قبل هذه الاعجوبة) بالمسيح قد كتموا ايمانهم بقلوبهم خلواً من اعلانه ظاهراً

الا ان الملكة الكسندره التي اذ عرفت الحق قد اعتقدت بالمسيح باطناً واعلنت ذلك ظاهراً

ولكن

القنصل الملوكي قد اخذها حالا الى البلاط القيصري قبل ان يلحظ الملك زوجها شيئاً من ذلك او يسمع ما تكلمت به من اجل اعتقادها وايمانها بالرب يسوع المسيح

اما هواي ديوكلانسيانوس فاذا احتمل قهراً عن ارادته تلك الحوادث من غير ان يستطيع بطريقة شرعية ان يعمل بالخلاف ضد حقيقة عرفت من الجميع فهو اصدر امره حينئذ بان يؤخذ الشهيد جوارجيوس و يطرح في حوض مملوء من الكلس الحي مفرقا فيه ليحترق متلاشيا تحت حراسة الجند لكيلا يجد معونة من احد وبان يبقى جسمهُ ضمن حوض الكلس مطموراً مدة ثلاثة ايام تحت الرديم فالانفذ امر الملك حيث ربط القديس متاداً الى حوض الكلس وكان بصوت عال يبتهل الى الله قائلا : يا حافظ الحزانى ومعين المضطهدين ورجاء اليؤسين انت الهي وسيدي استجب توسلات عبدك وانظر اليَّ راحما يا رب نجني من مكامن العدو واعطني نعمة لكي احفظ الاعتراف باسمك الى النهاية خلواً من تغيير ولا تهملني يا سيدي والهي بسبب خطاياي لئلا تقول اعدائي وقتاً ما اين هو الهه فاظهر يا رب قوتك واعلن اسمك القدوس ظاهراً فيَّ انا عبدك الحقير البطال ارسل لمعونتي ملاكك الحارس ليحرسني ان الغير المستحق انت الذي نقلت الاتون المضطرم سبعة اضعاف وحولت لهيبه في بابل الى

زراه وحفظت قديسيك الثلاثة سالمين خلواً من ضرر لانك انت هو المبارك والمسبح الى ابد الدهور امين

قال هذا عند وصوله الى حوض الكلس ثم رسم ذاته باشارة الصليب المقدس مسبحاً لله بابتهاج وهكذا طرح ذاته في الحوض الفائر غلياناً

اما خدام الشريعة والجند الذين قادوه فبعد ان تمموا كل ما امروا به من الملك رجعوا الى اماكنهم فلما كملت الثلاثة ايام دعا الملك اولئك الخدم وقال لهم: اني اريد ان لا يبقى شيء من فضلات جسد جاورجيوس التعيس الذي طرحتموه في حوض الكلس لاجل عناده ورداءته لئلا يحصل تابعوه على البعض من اعضائه وبتكريمهم اياه بواسطتها يسببون شغبا في المملكه وضرراً لانفسهم مأخوذين من روح افتخارهم المملوء احماقة فاذهبوا اذاً وافحصوا بكل تدقيق وان وجدتم شيئا باقيا من جسد هذا المنكود الحظ ومن فضلات اعضائه فاخرجوها ولاشوها

فالجنود

لدى سماعهم ما رسمه الملك اسرعوا حالا وقد تبعهم جمع غفير من الشعب لينظروا الغاية

ولكن عند ما وصلوا الى حوض الكلس وكشفوا عنه الردم قد وجدوا القديس حيا مرتديا بحلة بهية منيرة كأحد اهل العرس واذ ذاك رفع يديه نحو السماء مقدما الشكر لله على جميع النعم التي نالها من جوده

الآلهي . ثم خرج من الحوض خلواً من كل ضرر ولم يشاهد في جسده اثراً من الحروق بالكلية

اما

الشعب الملتئم لهذا المشهد الرهيب فامتلأوا كلهم اندهالاً وشرعوا كل فم واحد يمدحون ويعظمون جاورجيوس قائلين بالحقيقة انه لعظيم ويستحق المديح والاكرام والتبجيل

ثمَّ

ان الخبر وصل الى مسامع الملك قبل ان تعود اليه الجنود ولذلك ارسل واستدعى الشهيد ليحضر امامه فحضر واذ مثل القديس بازائه قال له : اخبرنا يا جاورجيوس من اي قبيل انت حاصل على هذه وباية صنعة انت تمارسها لاني الاحظ انك لكي تظهر قوة صنعة السحر فانت تظهر ان مذهب المصلوب هو الذي يمنع ذلك حتى تجذب الناس بكل هذه الزعبرات الى الاندهال وتحتال في ان تجعل الهك مهاباً كانه اعظم الآلهة فاجابه القديس قائلاً : اني اظن ايها الملك انكم لا تعودوا تقدروا ان تفتحوا افواهكم باحتقار آخر ضد ذلك الاله القادر على كل شيء وهو الذي يخلص جميع الواثقين من شدائد وعذابات كهذه ولكن من حيث انكم سقطتم في حفرة عظيمة بهذا المقدار من الضلال الذي يجذبكم اليه الشيطان حتى انكم لا تعتقدون ولا بالعجائب التي يصنعها الاله الحقيقي بواسطة

قديسيه وها انكم تشاهدونها باعينكم بل انكم اتصل بكم الحال بخديعة الشيطان ان تلقبونها بزعبرات وانا بالحقيقة اذرب عماوتكم واعدكم تعساء ولهذا احسبكم غير مستحقين جواباً آخر

(لها صلة)

في الطوفان

نظرنا فيما سبق كيف ان الجنس البشري عقيب قتل قايين اخاه هابيل قد انقسم الى فئتين فئة القايينين وفئة الهابيليين او نسل شيت الابرار وكيف ان معرفة الله بقيت محفوظة في نسل شيت فقط ولا سيما في سلسلة واحدة منها عدد حلقاتها من آدم الى نوح عبارة عن عشرة اجداد

اما ما كان من جهة نمو الجنس البشري وتكاثره فيقول كاتب التكوين موسى النبي انه في خلال المدة التي مضت من خلقة آدم وحواء حتى حفيدهما الثامن نوح قد ازداد ازدياداً عظيماً جداً (تك ٦ : ١)

ولكنه في الوقت نفسه قد ازداد ايضاً الشر في العالم وتفاقم (تك ٦ : ٥) ولا سيما حينما صار « بنو الله » اي نسل شيت البار يتخذون لهم نساء من « بنات الناس » اي من نسل قايين الشرير (تك ٦ : ٢)

بدون ان ينتبهوا للخطر العظيم الذي كان يتهدد ايمانهم القويم وحسن عبادتهم من جراء هذا الاختلاط مع بنات الناس فاغتروا بجمالهن اذ رأوا «انهن حسنات» (تك ٦ : ٢)

فخرج من هذا الاختلاط نسل اشر من نسل قايين الشرير اي نسل

« الجبابرة »(تك ٦: ٤) الذين اشتهروا بطغيهم وبغيهم وتوغلهم في احراج الشرور على اختلاف انواعها .

لا بل بسبب ذلك الاختلاط مع بنات الناس قد امسى كل انسان جسداً (تك٦: ٣) اي عبداً للملاذ الجسدية

ومما يشهد بعظم تفاقم الشر في تلك الايام فساد قلوب جميع الآنام « تك٦: ٥ »

قول كاتب التكوين موسى ان« الرب ندم انه عمل الانسان على الارض وتاسف في قلبهِ » «تك ٦: ٦ »

ولا شك في ان الندامة التي تدل على حزن الانسان وتأسفه فيما لو قال قولاً او عمل عملاً فرأى فيما بعد انه غير حسن او غير مناسب هي من صفات الانسان لا من صفات الله الكلي الكمال الذي كل قول يقوله او عمل يعمله لا يمكن ان يكون الا «حسناً جداً » اي في غاية الجمال ومنتهى الكمال وبالتالي لا يمكن ان يندم كما يندم الانسان.لان «الله ليس انساناً حتى يندم »«عد ٢٣: ١٩ او ١ ملوك١٥: ٢٩»

على ان الكتاب ينسب احياناً الندامة الى الله تعالى كما في الآية المذكورة آنفاً وكما ورد في سفر الملوك انه تعالى ندم على اقامته شاول ملكاً « ١مل ١٥ : ١١و ٣٥ »

وذلك حينما يريد اظهار عظم توغل الانسان في المعصية والطغيان الى حد يستوجب شديد العقاب من الله العظيم الشأن

فقول الكتاب اذن ان الله ندم وتأسف وما شاكل يعني ان الانسان صار بحالة تستحق الندم والاسف وبالتالي العقاب الشديد من الله الحاكم العادل

فلما كان شر الناس قد بلغ الدرجة القصوى ولم يبق من امل برجوعهم الى الحياة الفضلى«قال الرب امحوا الانسان الذي خلقت من وجه الارض الانسان مع البهائم والدبابات وطير السماء لاني ندمت على خلقي لهم »«تك ٦: ٧»

ولكن ترى ما ذنب الحيوان حتى اراد الله ان يمحوه من وجه الارض مع الانسان ؟ لما كان لم يخلقه الله الا لاجل الانسان وكان الله مزمعاً ان يمحو الانسان لزم ان يمحي الحيوان ايضاً اذ لا معنى لوجوده بدون الانسان

ولكن لما كان الله عادلاً لا يعاقب البار بجريرة الاشرار وكان نوح الحفيد الثامن لآدم «رجلاً باراً كاملاً في اجياله وسالكاً مع الله» (تك ٦: ٩)

في حين ان كل جسد قد افسد طريقه على الارض «تك ٦: ١٢»

لذا قضى عدل الله ان يمحي الجنس البشري باسره ما عدا نوحاً وامرأته وبنيه الثلاثة ساماً وحاماً ويافث ونسوة بنيه وما هم بحاجة اليه ونسلهم من بعدهم من جنس الحيوان

اما الطريقة التي اراد الله ان يمحو بها الجنس البشري ويخلص نوحاً وعائلته فقد سبق الله كشفها لنوح بقوله له « قد دنا اجل كل بشر بين يدي فقد امتلأت الارض من ايديهم جوراً فهاانااذا مهلكهم مع الارض

اصنع لك تابوتاً «اي سفينة » من خشب .. وهاانا ذا آت بطوفان مياه على الارض لاهلاك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء وكل ما في الارض يهلك واقيم عهدي معك فتدخل التابوت انت وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك تك ٦ ١٣-١٨

على ان الله الذي لا يبطئ بوعده كما يزعم قوم وانما يتأنى اذ يريد ان يهلك احد بل ان يقبل الجميع الى التوبة ٢بط ٣: ٩

لم يرد جل جلاله ان يهلك الجنس البشري فجأة على حين غفلة بل سر ان يمنحه زمناً كافياً لعله يرجع فيتوب ويندم فحدد له مئة وعشرين سنة مقدماً اظهر له بواسطة نوح (٦: ٣و٧) حتى اليوم الذي ابتدأ فيه الطوفان وهو معنى قول الله وتكون ايام الانسان مائة وعشرين سنة تك ٦: ٣ اي ان المدة التي يعطاها الانسان للتوبة قبل حلول الطوفان ستكون مئة وعشرين سنة وليس ان مدة

حياة الانسان ستقصر الى مئة وعشرين سنة كما يتوهم القارئ لاول وهلة . لان حياة الانسان لم تقصر بعد الطوفان بل استمرت مدة طويلة تبلغ نحو من خمس مئة سنة فسام بن نوح عاش ست مئة سنة وارفكشاد عاش اربع مئة وثلاثا وثلاثين سنة وعابر بن شالح عاش اربع مئة واربعة وستين سنة . انظر «تك ١١ : ١٠ـ١٧» بقي ايضاً ان مدة المئة والعشرين سنة تلك يراد بها المدة التي سمحت بها طول اناة الله لاجل البشر قبل حلول زمن الطوفان لعلهم يتعظون بقوال واعمال نوح كارز البر «٢ بط ٢ : ٥» فيتوبوا ويخلصوا من الطوفان كما اتعظ اهل نينوى بكلام يونان فتابوا في مدة الايام الاربعين التي أعطيت لهم للتوبة فنجوا من الغضب الالهي «انظر يونان ٣» وفي الكتاب شواهد عديدة على ان الله تعالى كثيراً ما يؤجل قصاص الخطاة الى ايام عديدة واحياناً الى سنين كثيرة لعلهم يتوبون في خلالها كما اجل هلاك الاموريين الى اربع مئة سنة حتى يكمل اثمهم «تك ١٥ : ١٣ : ١٦» واجل قصاص الملك نبوكدنصر الى اثني عشر شهراً «دا ٤ : ٢٤ و٢٦» واجل قصاص اليهود الى سبع وثلاثين سنة اي من حين صلبهم المسيح حتى خراب اورشليم في سنة سبعين لميلاد المسيح

اما ما كان من جهة نوح فانه نظراً لعظيم ايمانه وبره وتقواه باشر حالاً مع اولاده بعمل التابوت على المثال الذي اراه الله اياه بقوله له « اصنع لك تابوتاً من اخشاب مربعة الزوايا واجعله مساكن واطله من داخل ومن خارج بالقار كذا تصنع التابوت ثلاث مئة ذراع طوله وخمسون ذراعاً عرضه وثلاثون ذراعاً علوه الخ كما هو مكتوب في (تك ٧ : ٢ و٣ وتك ٦ : ٢٢)

اما الناس الذين كانوا ينظرون نوحاً واولاده يبنون التابوت فلم يكونوا ليتوبوا ويتعظوا بل « كانوا يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون الى يوم دخل نوح السفينة (التابوت) ولم يفقهوا حتى جاء الطوفان وذهب بالجميع» (مت ٢٤ : ٣٨ و٣٩)

فلما تم بناء التابوت وكانت المدة المعينة من الله للتوبة والندامة قد انقضت امر الله نوحاً وهو ابن ست مائة سنة ان يدخل التابوت مع عائلته وسائر انواع الحيوان

ولما دخل اغلق الرب عليه » (تك ٧ : ١٦) وكان ذلك قبل ابتداء الطوفان بسبعة ايام كاملة سمح الله بها لعل الناس يتوبون في خلالها على ان السبعة ايام مضت والناس لم يفتكروا بالتوبة ولهذا لم يكن « اليوم السابع والعشرون من الشهر الثاني (اي احد ايام تشرين ثاني على حساب الاشهر في ايامنا) حتى « تفجرت عيون الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة ... الخ كما هو مذكور في « تك ٧ : ١١ ـ ٢٠ » و بقيت المياه تتعاظم على الارض « مئة وخمسين يوماً » (تك ٧ : ٢٤) اي خمسة اشهر كاملة حتى فني كل ذي جسد يدب على الارض من الطير والبهائم والوحوش والدبابات التي تزحف على الارض والناس كافةً » (تك ٧ : ٢١) ولم يسلم الا « نوح ومن معه في التابوت » (تك ٧ : ٢٣) اي حفظة بذور الحياة الجديدة على الارض

وكان في السنة الواحدة والست مئة سنة دخل نوح الفلك وهو ابن ست مئة سنة في الشهر ان المياه نشفت عن الارض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فاذا وجه الارض قد نشف وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الارض فخرج نوح بامر الله من الفلك هو وجميع من معه بعد ان اقاموا في الفلك سنة وعشرة ايام « تك ٨ : ٥ ـ ١٩ »

واول شيء عمله نوح بعد خروجه من التابوت هو انه « بنى مذبحاً للرب واخذ من جميع البهائم الطاهرة والطيور الطاهرة فاصعد محرقات على المذبح » « تك ٨ : ٢٠ » اظهاراً لشواعره الشكرية لله تعالى الذي خلصه وعائلته من هلاك الطوفان فسر الله تبارك اسمه من عمل نوح هذا وقال « لا اعود العن الارض ايضاً بسبب الانسان بما ان تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته ولا اعود اهلك كل حي كما صنعت وابداً ما دامت الارض فالزرع والحصاد والبرد والحر والصيف والشتاء والنهار والليل لا تبطل » « تك ٨ : ٢١ و ٢٢ »

لما صلة

سيرة القديس افسطاثيوس

تابع ما قبله

اما افسطاثيوس فرجع الى منزله واخبر زوجته بكل ما رأى فسقطا الاثنان على الارض وتضرعا الى الرب يسوع بدموع غزيرة حارة وقالا لتكن ارادة الرب وهذا ما جرى له قبل حلول المصائب به ايها القراء الكرام فتأملوا ما اصاب هذا القديس من التجارب والمحن وكيف احتمل كل ذلك بصبر وجلادة انه قد عاد الى حال احسن مما كان عليه قبلاً وتمجَّد من الله ومن البشر ايضاً

فبعد

مضي ايام قليلة من اعتماده قد حدث في بيته وباء اصاب جميع خدامه فماتوا كلهم وقد عرف القديس ان هذه اول التجارب ومن جملتها فكان يشكر الله ويتضرع الى زوجته ان تحتمل ذلك بجلادة ولا تضجر وفي الوقت ذاته قد اصاب الوباء جميع خيله ومواشيه فمات الجميع وبقي القديس وزوجته وولداه وقد احتملا ايضاً هذه الضربة بكل جلادة وخوفاً من ان تضجر زوجته قد اخذها ومضى بها وبولديه ايضاً الى مكان قريب من هناك لاجل تسليتهم وتعزيتهم فمضوا اللصوص الى منزله وسلبو كل ما كان له ولم يتركوا ادنى شيء وقد اصبح القديس وعائلته

لا يملكون شيئاً وصار في غاية الاحتياج وفي فقر مدقع .. وبعد ايام كان عند انوثيين موسم عيد عظيم جداً وفي هذا الموسم كان لا بد من وجود الملك وقائد عساكره فلم يحضر القديس الى هذا الاحتفال السنوي العظيم على حسب عادته في السنين الماضية.

وبعد

ان انتظر الملك ورجال دولته طويلاً مجيء القديس ولم يحضر ارسلوا يطلبونه ولمَّا لم يجدونه حزنوا عليه جداً وتبدل فرحهم الى حزن لانهم كانوا قد عرفوا ما حلَّ به من المصائب ولم يعرفوا مكان وجوده. وبعد ان مضى ذلك الموسم قالت له زوجته . يا سيدي الى متى تلبث هنا وقد اصبحت هزءاً وسخرية للعالم . فهلمَّ بنا نمضي الى مكان آخر لا يعرفنا فيه احدٌ فنكون مجهولين من الجميع . فقال لها الى اين نمضي ؟ قالت له اظنُّ انه لا يوجد أوفق لنا من ان نمضي الى اورشليم حيث يوجد قبر السيد المسيح . فارتضى ان يتوجهوا جميعاً الى اورشليم

وفي

تلك الليلة قد اخذ زوجته وولديه ومضى بهم الى جهة مصر . وبعد سفر يومين وصلوا الى البحر فركبوا مركباً وتوجهوا الى حيثما كانوا قاصدين وقد كان قبطان ذلك المركب رجلاً رديئاً شريراً جداً هائماً بالنساء فعندما ابصر ثوبيتي دهش من جمالها ووضع في فكره ان امكنه

أن يفتنهم طالما عرف ان زوجها فقيرٌ جداً . فعندما وصلوا الى احد الشواطئ طلب القبطان من افسطاثيوس اجرة مضاعفة عن كل واحد منهم فصار فسطاثيوس يتضرّع اليه ان يأخذ منهم حسب العادة واكدّ له انه لا يوجد معه سوى الاجرة التي اتفقوا عليها فامتنع القبطان وعنفه والزمه ان يدفع جبراً فصار افسطاثيوس يتشكى له بدموع ويجيب ان يشفق عليهم ويأخذ كل ما يوجد معهم وان لا يطالب زيادة على ذلك فلم يقبل القبطان وانتهر القديس بقوله له بما انك لا تستطيع دفع الاجرة فها انا استبقي زوجتك عندي وآخذها لي وانت اذهب بولديك فالقديس عند سماعه هذا الكلام من القبطان صار يبكي ويذرف دموع الحزن على هذه المصيبة العظيمة ويتوسل بدموع حارة الى القبطان كي يشفق عليه . ويترأف على ولديه الصغيرين ويرد لهما امهما . ولكن ذلك القبطان الرجس الدنس الشرير قد أمر الملاحين ان يطرحوه في البحر . فهجم هؤلاء عليه ورفعوه وارادوا ان يقذفوه في تلك اللجة . فلما رأى كلا الامرين صعباً سلّم امره لله خوفاً على ولديه . فأخذهما ونزل من ذلك المركب باكياً ومفارقاً زوجته قائلاً لولديه الويل لي ولكما يا ولديّ ان امكما قد اخذها غصباً رجل شرير قاس الله يكون لها

ثم سار بولديه ببكاء وعويل الى ان وصل الى نهرٍ كان لا بدَّ له من ان يجتازه . فحار بأمره ماذا يعمل . واخيراً التزم ان يترك احد الولدين

على حافة النهر وقطع بالثاني حاملاً اياه على ظهره الى حافة النهر الاخرى المقابلة وتركه هناك ورجع ليجيء بالولد الآخر.

وفيما

كان راجعاً في وسط النهر تطلع الى الشاطئ لينظر ابنه . واذا بأسد يزمجر قد هجم على ابنه وحمله بفمه وهرب به . ثمّ التفت الى ورائه واذ بذئبٍ هايل قد هجم بشراسةٍ وخطف الابن الآخر بفمه وهرب .

فيالها

من ساعة مرعبة محزنة ويا لها من لحظة مريعة . ويا لها من مصيبة فادحة . ويا له من قلب حزين . ومن فؤاد كسير منكود الحظ . ومن ابٍ يُرثى له ايها القرآء الكرام . تأملوا كيف كانت حالة هذا الوالد المنكود الحظ في تلك الساعة الهائلة . القبطان قد اغتصبهُ زوجته والوحوش اختطفت ولديه وقد عدم كرامته وخسر غناه وامواله وكرامته وانهدمت منازله . واضحى غريباً وحيداً بدون سلوة ولا تعزية ولم يكن معه درهم الفرد . ففي تلك الحالة التي صار اليها اتاه فكر ان يطرح نفسهُ في ذلك النهر فيختنق ويخلص من الحياة المرة التعسة . وهذا الفكر كان من حيل الشيطان

لكن

النعمة الالهية لم تسمح بهلاكه والوقت ساعدته وخرج من ذلك النهر .

وقد كان رعاة من جهة النهر الواحدة فلما رأوا الاسد والولد في فمه اطلقوا عليه الكلاب وادركوه وهكذا بعونة الله قد انقذوه حيًّا من بين انيابه . وكذلك من الجهة الثانية كان حرّاثون يفلحون الارض فعندما شاهدوا الذيب والولد في فمه هجموا عليه بالاصوات والصياح وبعونة الله انقذوا الولد الثاني حيًا وقد كان الجميع من مدينة واحدة واذ لم يكونوا يعرفون لمن الولدان فكل ولدٍ اخذه اناس وربوه

اما

اما اوسطاثيوس فلم يعلم هذا الامر بل كان يظن ان ولديه قد صارا فريسة للوحوش الكاسرة . وحينما خرج من النهر جلس على حجرٍ عال وصار ينتف شعره ويقول . الويل لي قد كنت مثل شجرةٍ حاملة ثمراً وورقاً والآن تعريت . . بل الويل لي قد كنت ذا كرامةٍ جزيلة مهاباً . والآن قد اضحيت غريباً منفرداً وحيداً مثل اسير . الويل لي قد كنت قبلاً مخدوماً من جنودٍ وعساكر وافرة العدد . والآن قد عدمت زوجتي وولديَّ ايضاً . لكن انت يا رب لا تتركني الى النهاية ولا تتغاضى عن دموعي ولا تغفل عن تنهدي . يا رب انت قلت لي ان اصبر مثل ايوب والآن قد اصابني بزيادة عما اصابه . نعم ان ذاك قد عدم وخسر جميع ما يقتنيه . ولكنه قد وجد المزبلة سلوة له حيث كان يجلس عليها . واما انا فليس لي مكان اسند فيه رأسي . بل انا غريب وفي ديار الغربة . فماذا

اعمل · ان ذاك قد اصابته المصائب ولكن اصحابه قد اتوه وعزّوه على مصائبه · واما انا المنكود الحظ فمن اين لي التعزية · زوجتي قد اغتصبها مني ذلك الشرير وولداي قد صارا فريسة للوحوش ·

نعم ان ذاك وان قد عدم الفروع والورق الا ان الشجرة بقيت له وكان ينظرها وتأتي بالطعام فيتعزى بها (اعني زوجته) واما انا فانني قد عريت من الاصول والفروع ولم يبق احدٌ من اهلي · ولكن يا رب لا تضجر مني لاجل كثرة كلامي ولا ترذلني لانني اتكلم بهذا من احزان قلبي واوجاعي · اجعل يا رب حافظاً لفمي وباباً حصيناً على شفتي لا تمل قلبي الى كلام الشر ولا تقصني من امام وجهك اعطني صبراً وامنحني قلباً ثابتاً لاحتمل هذه التجارب

وبعد

ان مسح عينيه من الدموع الغزيرة التي كانت كالسيل نهض يمشي فانتهى الى قرية تدعى فاذيسوس ولم يشأ ان يخرج من هناك لانه لم يعد يتمكن من السفر حيث لم يكن معه من لوازمه شيء ولم يكن يعرف مكاناً يذهب اليه ولا احداً يضيفه فلبث في تلك القرية يعتاش من شغله في حراثة الارض وحصاد الزرع · فمضى عليه سنة وهو على تلك الحالة واذ لم يعد يمكنه ان يحرث ويحصد من كثرة الاحزان والاتعاب اخذ يتضرع بدموع الى اهل تلك القرية فاقاموه ناطوراً على اثمار كرومهم

وحقولهم فبقي على هذه الحالة ايضاً خمس عشر سنة

وقد

ذكرنا ان ولديه قد عاشا في قريةٍ واحدةٍ بدون ان يعرفا بعضهما وبدون ان يعرف احد انهم اخوة . واما ذلك القبطان الشرير الذي ذكرناه انه قد اخذ زوجتهُ لتذهب بها الى وطنه . وبما ان جميع هذه الحوادث قد صارت امتحاناً للقديس . فالاله المحب البشر والمكافيء كل احد على حسب عمله ان خيراً فخيراً وان شراً فبشر لم يشأ ان يتدنس عرض زوجة القديس من ذلك الشرير فانه من بعد ايام قليلة مرض ومات وابقت ثاوبستي في بيته وحدها وارثة جميع املاكه وموجوداته . وكانت عابدة الله بدموعٍ حارَّة

وفي

تلك الايام حصل هيجان من اهل تلك المقاطعة التي كانت فيها ثاوبستي وعصوا على الملك طرائيانوس . فحار الملك في امره ماذا يعمل بهم وحينئذٍ تذكر قائد عسكره وكيف انه كان يكل امره في مثل هذه المهمَّة . وانه كان اينما توجه يغلب وكيف مضى من عنده ولم يعد يسمع عنهُ شيئاً فاراد ان يرسل جنوداً مع بعض القواد الى اولئك العصاة فقال له الجميع اننا لا نجسر ان نمضي الى مثل هذه الحروب بدون رئيس عسكرنا وقائدنا بلا كيذاس المشهور في الحروب فان كنت ايها الملك

تريدان تقهر اعداءك فارسل اناساً يفتشون على فرسنا وحامي ديارنا ومملكتك ويحضرونه فانه بحسن درايته وفروسيته يغلب اعداءك ويقهرهم ويكفيك شرهم

فاعجب

الملك هذا الرأي وللوقت ارسل اثنين الى كل جهة والى كل مقاطعة ليفتشوا باجتهاد على بلاكيذاس (افسطاثيوس) وقد كان من هؤلاء المرسلين انطيوخس واكاكيوس اللذان كانا من اعز اصحاب القديس فذهبا معاً ليفتشا على صاحبهما وبمعونة الله قد جاء طريقهما الى تلك القرية التي كان فيها افسطاثيوس ناطوراً

وبينما كانا مقبلين من بعيد ابصرهما القديس فعرفهما من هيئتهما وملابسهما وللوقت دمعت عيناه وقال : ايها الرب الاله الرحيم يا من تنقذ من كل حزن الذين يرجونك كما انني على غفلة قد رأيت صاحبيَّ هذين انعم علي ان اشاهد عبدتك ثاوبيستي طالما انا متأكد ان الوحوش قد افترست ولديَّ لاجل خطاياي واملي ايها الرب الهي الرحيم يسوع المسيح الاله الحقيقي ان اشاهدها في اليوم الاخير

لها صلة

باب
المباحث الادبية

❋ مسألة ❋

سابق التحديد الالهي

ان مسأله سابق التحديد الالهي او ما يسمونه عادة بالقضاء او القدر لهي مسألة طالما اشتغلت بحلها عقول الفلاسفة واعاظم البشر فذهبوا في حلها مذاهب شتى تبعد عن الحقيقة بعد الثريا عن الثرى ولا عجب لان العقل الانساني بالنسبة الى العقل الالهي هو محصور ومحدود بهذا المقدار حتى انه مهما اجهد القوة واعمل الفكرة لا يقدر ان يدرك احكام الله الكلي الحكمة والاقتدار وهذا ما حدا بولس الرسول فيلسوف المسيحية الى ان يهتف عقيب تأمله العميق بكثير من مكنونات الاحكام الالهية «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ! ما ابعد احكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء» رومية (١١:٣٣)

على ان عقل الانسان المستنير بنور الوحي الالهي الساطع في كل صفحة من صفحات الكتب الالهية يستطيع ان يدرك ولو بعض الادراك مايعسر فهمه على الغير من المسائل الادبية والروحية . وهذه هي الواسطة الوحيدة التي تمكن بها آباء الكنيسة الافاضل ومعلموها الاعلام الاماثل من حل رموز

كثير من تلك المسائل ومن جملتها مسألة سابق التحديد الالهي

فافادة لقراء مجلتنا «الانارة» الاحباء نثبت هنا خلاصة ما اقتبسناه بشأن هذه المسألة العظيمة الاعتبار عن آباء كنيستنا الابرار ومعلميها الاطهار فنقول:

اذا تصفحنا الكتاب المقدس وجدنا فيه امثلة عديدة تدلّ على ان الانسان كثيراً ما ينوي شيئاً فيلاقي شيئاً آخر كالمرأة السامرية مثلاً اذ ذهبت الى بئر يعقوب لتستقي ماء فوجدت هناك المخلص وآمنت به ونالت الخلاص (يو ٤) اي انها كانت تنوي شيئاً فوجدت شيئاً آخر كانت تريد ماء طبيعياً فوجدت ماء روحياً . كانت تطلب ماء لارواء عطشها الجسدي فوجدت ماء ارو[ى] عطشها الروحي . وبعكس ذلك يهوذا الاسخريوطي فانهُ انخرط في سلك تلامذة يسوع المسيح قاصداً خلاص نفسه فلم يلبث ان صار آلة شريرة لتسليم معلمه يسوع المسيح الى اعدائه وسبباً لهلاك نفسه اي انهُ نوى شيئاً فوجد شيئاً آخر . طلب الخلاص فوجد الهلاك (انظر مت ١٠ : ٤ وقابله على مت ٢٦ : ٤٦ – ٥٠)

فهذه الامثلة وما شاكلها قد حدت بالبعض ممن لا يدققون النظر في معاني اقوال الكتب الالهية الى الاعتقاد بسابق التحديد اي بالقضاء والقدر بمعنى ان كل قول او عمل يأتيه الانسان انما هو بسابق تحديد الله

اي مقدّر له من الله ويستندون باعتقادهم الفاسد هذا الى بعض عبارات في الكتاب المقدس ظاهرها يوافق رأيهم كقول بولس الرسول ان الله «يرحم من يشاء ويقسي من يشاء» (رو ٩: ١٨) فيقولون ان الله اراد ان يرحم المرأة السامرية فدبر لها المكان والزمان حتى انها بحال وصول المخلص الى بئر يعقوب تأتي هي ايضاً الى هناك لتستقي ماءً فتتحادث مع المخلص وتؤمن به وتخلص اي ان الله قد سبق منذ الازل فحدد خلاصها كذلك يقولون ان الله اراد ان يقسي قلب يهوذا الاسخريوطي فدبر له المكان والزمان حتى انه عند انتهاء المخلص من بشارة الملكوت واقترابه من وقت الموت على الصليب يسلمه يهوذا الاسخريوطي وهكذا يهلك اي ان الله قد سبق منذ الازل فحدّد هلاكه

ولكن اذا كان الامر كذلك اي اذا كان الله جلّ جلاله يمنح رحمته لمن يشاء ويقسي قلب من يشاء اذا كان الله يسبق فيحدّد البعض من الناس للخلاص والبعض منهم للهلاك فلماذا يغبط الاتقياء الابرار ويعدهم بالثواب ويشجب الاشقياء الاشرار ويتوعدهم بالعقاب؟ اذا كان الله نفسه اراد ان يرحمني ويجعلني اهلاً للخلاص فلم يغبطني ويثيبني او ما دام جلاله تعالى هو الذي اراد ان يقسي قلبي ويجعلني مستحقاً للهلاك فلم يشجبني ويعاقبني؟ من انا حتى اقاوم ارادته؟ «من الذى يقاوم مشيئته» (رو ٩: ١٩)

ان بولس الرسول الذي يطرح هذه المسألة كما اوردناها آنفاً هو نفسه يوبخ الذي يجسر على التلفظ بمثل هذا الكلام الوقح فيقول له « ترى من انت ايها الانسان الذي تجاوب الله ؟ العل الجبلة تقول لجابلها لم صنعتني هكذا ؟ او ليس للخزاف سلطان على الطين فيصنع من كتلة واحدة اناء للكرامة واناء للهوان ؟ » (رو ٩ : ٢٠ و ٢١)

ثم بعد ذلك يورد الرسول مثال الشعبين الوثني والاسرائيلي فيحل به كل مشكلات مسألة سابق التحديد الالهي . فالوثنيون لم يكونوا يهتمون بامر خلاصهم ومع هذا فقد حصلوا على التبرير الذي كان من الايمان . واما الاسرائيليون فكانوا يهتمون بأمر خلاصهم ولكنهم لم يحصلوا على التبرير . ولمَ هذا هكذا اي لماذا لم يحصل اسرائيل على التبرير ؟ «لانه لم يطلبه بالايمان بل باعمال الناموس» رو ٩ : ٣٢ و«باعمال الناموس لن يتبرر احد من ذوي الجسد امام الله » رو ٣ : ٢٠

فبهذا المثال قد علمنا الرسول ان الله يرحم من يشاء ولكنه لا يشاء كيفما كان بل لسبب اي انه يشاء ان يرحم الانسان المستحق الرحمة ويقسي قلب ذاك الذي قلبه قاس وشرير يصنع اناء للكرامة ذاك الذي نيته صالحة وقلبه سليم واناء للهوان ذاك الذي نيته فاسدة وقلبه شرير كما رحم المرأة السامرية نظراً لصلاح نيتها وسلامة قلبها وقسى قلب يهوذا الاسخريوطي نظراً لسوء نيته وفساد قلبه . فارادة الله والحالة هذه تكون معينة للارادة

الانسان من حيث خلاص نفسه لا حاكمة عليها وبعبارة ثانية ان الله جلت حكمته متى رأى في قلب الانسان ميلاً ولو صغيراً نحو الصلاح ارسل اليه حالاً نعمتهُ الالهية لكي تعضده وتجعل ارادتهُ قادرة على القيام بعمل الفضيلة. وبالعكس اي متى رأى الله في قلب الانسان ميلاً رديئاً وشريراً نزع عنهُ حالاً نعمتهُ الالهية فيمسي قلب الانسان حينئذ كالارض البائرة لا ينبت الا اشواكاً اي اعمالا شريرة

فما ذكر حتى الآن ينتج

ان سابق تحديد الله انما هو نتيجة سابق معرفته تعالى وبالتالي اذا كان الله جل جلاله يسبق فيحدد بعض الناس للخلاص وبعضهم الآخر الهلاك فانما يحدد هذا التحديد بما انه يسبق فيعرف ما هو مزمع ان يفعلهُ كل انسان من جيد ورديء كما يصرح بذلك بولس الرسول اذ يقول « ان الذين سبق [الله] فعرفهم سبق فحددهم والذين سبق فحددهم . فهؤلاء دعاهم . والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم . والذين برَّرهم فهؤلاء مجدهم » [رو ٨ : ٢٩ و ٣٠] فالممجدون اذاً اي الخالصون هم محدودون للخلاص بحسب معرفة الله بهم وبنواياهم وباعمالهم وكذلك ايضاً الهالكون هم محدودون للهلاك بحسب سابق معرفة الله بهم بنواياهم وباعمالهم . على ان سابق معرفة الله ليست هي علة خلاص الانسان او هلاكه كما ان سابق معرفة الطبيب مثلا لا تكون سبباً لشفاء المريض او لموته فالطبيب يفحص المريض فان رأى فيه

دلائل الصحة يسبق فيعرف انه من اهل الحياة وان رأى فيه دلائل الموت يسبق فيعرف انه من اهل الموت كذلك الله تعالى ايضاً ينظر الى قلب الانسان فان وجد فيه ميلاً للخير يسبق فيعرف انه من الاخيار وان وجد فيه ميلاً للشر يسبق فيعرف انه من الاشرار . ثم كما ان الطبيب متى سبق فعرف نتيجة المرض يسبق فيحدد المريض اما للشفاء واما للموت كذلك الله تعالى ايضاً متى سبق فعرف ارادة الانسان يسبق فيحدده اما للخلاص واما للهلاك . ولكن كما ان سابق معرفة الطبيب وسابق تحديده لا يسببان للمريض لا الحياة ولا الموت كذلك ايضاً سابق معرفة الله وسابق تحديده لا يسببان للانسان الخلاص ولا الهلاك . وكما ان المريض يعيش او يموت ليس لان الطبيب قد سبق فعرف وحدد بل بما انه كان لا بد له من ان يعيش بسبب عدم اهمية مرضه او لا بد له من ان يموت بسبب اهمية مرضه ومن ثم فقد سبق الطبيب فعرف وحدد الحياة او الموت كذلك ايضاً يخلص الانسان او يهلك ليس لان الله قد سبق فعرف وحدد بل لان الانسان كان مزمعاً اما ان يعمل الخير فيخلص واما ان يعمل الشر فيهلك ووفقاً لعمله هذا قد سبق الله فعرف وحدد اما خلاصه او هلاكه

واذ علمنا الآن

حقيقة حل مسألة سابق التحديد فلا نقوان من ثم قول بعض

الجهلة الذين يقولون : ان كنا محددين للخلاص فما الحاجه الى الاهتمام بالاعمال الصالحة . وان كنا محددين للهلاك فما الحاجة الى التوبة ؟

فنجيبهم

ان الله عزّ وتعالى انما لاجل اعمالنا يسبق فيحدد خلاصنا وهلاكنا ثم يسبق الله فيحدد ولكن سابق تحديده لا يقسر حرية ارادتنا البتة بل في وسعنا دوماً ان نكون اليوم طالحين وان نريد غداً فنصير صالحين وان نكون اليوم صالحين وان نريد غداً فنصير طالحين . فخلاصنا اذن او هلاكنا انما هو متوقف على ارادتنا

فاذا اردنا الخلاص

وجب علينا ان نحفظ وصايا الله الذي « سيكافئ كل احد بحسب اعماله » (رو ٢: ٦) ان كان شراً فبالشر وان كان خيراً فبالخير ولهذا « اما الذين هم من اهل المخاصمة الذين يعاصون للحق ولا يطاوعون للحق بل ينقادون للاثم فعليهم السخط والغضب . واما الذين بالصبر على العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والعصمة من الفساد فلهم الحياة الابدية » (رو ٢ : ٨ و ٧)



☼ كلمة اسف ☼

لعل الاسف يجدي نفعاً لقوم يعقلون

اسفي على يوم يمر بلا فائدة مادية او ادبية على حد قول الشاعر :

اذا مر بي يوم ولم اتخذ يداً ولم استفد علماً فما ذاك من عمري

اسفي على رجل ترجومنه النفع والخير وعلى يده تأتيك المضرة . اسفي على رجل يستنزف دراهمه في معاقرة الخمرة وينثرها على موائد القمار وبنوه في البيت يتضورون جوعاً واذا سألوه كسرة خبز يابسة اشبعهم شتماً وضرباً

اسفي على رجل يعيش في هذا الكون نظير العجماوات كأنه خلق للاكل والشرب فقط

اسفي على رجل من رجال الدين يتظاهر بالتدين والبر والتقوى وهو من الداخل ذئب خاطف

اسفي على شبيبة من القرن العشرين تمضي اكثر اوقاتها في الاحاديث الباطلة والتجاديف السمجة والالفاظ المخلة بالآداب او بمطالعة الكتب الخلاعية التي تفسد الاخلاق وتخنق العواطف الشريفة في قلوب مطالعيها

اسفي على ابن عقوق لا يحترم والديه وقد نسي جميع ما بذلاه عليه من الاتعاب والمصاريف فلا يعرف نفسه الا كبيراً

اسفي على خلّ يدعي لك الصداقة والمودّة واذا حررت له كتابا لا يرد لك الجواب ضناً منه باجرة البريد

اسفي على رجل يجعل الحق باطلا والباطل حقاً لغاية منه في النفس

اسفي على صديق يظهر لك المحبة ويبطن البغضاء ويبث لك كلمات المحبة والولاء ولكن كلها كذب ورياء

اسفي على شاب اديب تراه جالساً في الخمارة مع زمرة السكارى يتعاطى معهم كاسات المدام

اسفي على امرأة تمضي اكثر اوقاتها بالزينة امام المرآة تاركة زينة النفس وجمالها التي هي العفة والطهارة

اسفي على امرأة ثرثارة تمضي اكثر اوقاتها بالتجول من جارة الى جارة حباً بالقيل والقال

اسفي على ابنة لا تعرف شيئاً من الاشغال اليدوية او البيتية سوى الاكل والشرب والزينة

اسفي على امرأة تعلم اولادها الكذب والخداع والسرقة غير عالمة انها بهذا تقودهم الى السجن

اسفي على شيخ لا يعرف قدر نفسه وقد جعل نفسه مع زمرة الصبيان

اسفي على شاب يدعي العلم والمعرفة في كل علم وفن واذا سألته عن موقع جزّين يقول لك انها في الصين

اسفي على ولد يتطاول على والديه بالالفاظ المخلة بالآداب غير عالم ما قيل في المثل «كما تعامل اباك يعاملك ابنك»

اسفي على غني يشح بماله على نفسه وعياله ولا يتصدق منه بشيء على ذوي الفاقة ناسياً مثل الغني الذي جاء في الانجيل اذ قيل له يا جاهل في هذه الليلة تطلب نفسك منك وهذه التي اعددتها لمن تكون

اسفي على مستقبل ضيعته بين التمني والآمال ولم استفد من الاماني شيئاً سوى ضياع الوقت والخسران

يافا — ميخائيل اندراوس الدير

صحة البشائر الاربع

ان السيد المسيح لم يؤلف ولم يترك لنا كتابة بخط يده فان شخصه واعماله العجيبة هي كتابات سطرت على اخلاق الجنس البشري وان عمل روحه في القلب هو الرسالة التي يسطرها يوماً فيوماً تسطيراً لا يمحى في الكنيسة على انه وان لم يكن المسيح نفسه لم يكتب شيئاً بيده فان تلاميذه قد وضعوا كتباً اوضحت لنا كل شيء وقد اثبتت صحة جميع التقاليد الشفاهية التي ذاعت وشاعت عنه في العالم منذ ذلك الزمان ولم تزل شائعة حتى وقتنا الحاضر

بيد انه ما كان القارئ اللبيب ليخال ان ما سنكتبه من البراهين السديدة وما سنأتي عليه من البينات الصريحة على صدق رواية هذه البشائر واثبات مستندها الى كاتبيها مقصود فيه ان هذه المقالات الاربع هي البينات الوحيدة على تجسد ابن الله وانه لولا كاتبوها لكنا في خسر من جهة المعتقد ولا نثبت

علينا الحجة فان الكنيسة نفسها على مرور الايام وكرور الاجيال هي اناجيلنا المسطرة وبراهيننا القديمة على لاهوت رب المجد وتجسده لان التقليدات الشفاهية تقوم مقام الكتابة في حفظ صحة الحقائق الاصلية العمومية فانهُ اذا لم يتسنَّ لنا ان نقرأ شيئًا عن نابوليون الاول مثلا فلا يمنعنا ذلك عن معرفة ما كان مهماً عنهُ حتى ولو لم يدون شيء من اعماله على صفحات القرطاس فان الامور الجوهرية في حياته تبقى حقائق لدينا اجيالاً عديدة

فاذا كانت هذه حالتنا مع نابليون فكم بالاحرى يجب ان تكون نحو محيي الموتى ومطهر البرص ومفتح العمي وشافي المرضى ومخلص المخلعين الخ.

وعليه ما كان ايماننا ليتوقف على صحة الكتابات المسطرة او عدمها فقط بل على الحقائق التاريخية والتقاليد الشريفة التي وجدت داخل قلوبنا وما كانت الاخبار المكتوبة الا سنداً لايماننا وعضداً قويًا له لانها تصور لنا بشكل جلاء صورة ذلك الذي نعرفه ونحبه وتمثل امامنا هيئته ذات النقاوة الكاملة والقوة الابدية الحياة حتى اننا نري فيها اصبع الله العلي فنعظمها ونعتبرها كأنها افضل واعز كنز نمثله في هذا العالم

ان ما اشاعهُ وكتبه البعض من المناقضات التي عنت لهم ليموهوا بها على عقول السذج في الكنيسة وليخدعوهم بسفسطاتها من مثل ان هذه البشائر قابلة الاعتراض ليس الا من الحدس والتخمين بل يبعد عن محجة الصواب واليقين

لانهُ يجب الا ننسى ان هذه الاناجيل ليست مثل غيرها من الكتب التي عثر ويعثر عليها في وقت من الاوقات او في بعض المكاتب ولم يعرف شيء من اصلها ولا عن واضعها او سبب وضعها فانها لم تنشأ خفية عن الناس ومن ثم برزت من الكتمان الى عالم الشيوع والاذاعة بل قد صدرت توًا من صدر الكنيسة المسيحية الاولى وكتبت تحت عنايتها ومنذ صدورها قوبلت بالاركان انها والتصديق بها فجاءت مطابقة كل المطابقة لما كان شائعًا في العالم المسيحي من التقليدات

المسيحية والاخبار التاريخية فان جميع التعاليم المسيحية البدائية كانت منحصرة على نوع ما في تاريخ حياة المسيح من مثل تعاليمه وعجائبه وما الم به من عذابات والآم الصلب ومن مثل موته وقيامته وصعوده الخ... حتى كانت جميع افكار المسيحيين متجهة نحو شخص المسيح وتاريخ حياته الامر الذي كان يتوقف على صحته صحة الاعتقاد المسيحي

ومما يبرهن لنا اجتهاد الاقدمين في البحث والتدقيق في صحة هذه التعاليم المسيحية هو ما جعل بولس الرسول يعدد الشهود بقيامة المسيح في رسالته الاولى الى اهل كورنتس ص ١٥ وما ذكره الرسول بطرس عما راه عياناً من امجاد السيد المسيح على الجبل وقت التجلي وما سمعهُ باذنيه من شهادة الآب له القائلة « هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا » ٢ بط ١٦:١) وكل من قرأ بتأنٍ وتمعن الاحدى والعشرين رسالة التي كتبها الرسل القديسون يتضح امامه كالشمس في رابعة النهار ان المسيحيين الاولين بذلوا جهد المستطاع في حفظ وبقاء ذكر حياة المسيح بينهم حتى انهُ اذا لم يكن بين ايدينا مقالات البشيرين الاربعة كانت جميع الحقائق الجوهرية في سيرة المسيح تتلألأ امامنا في هذه الرسائل التي كتبت في القرن الاول المسيحي

ولم يمض ذلك الجيل حتى كثرت الاقاصيص وتعددت الاقاويل عن السيد المسيح كما نفهم من مقدمة لوقا البشير(في الاصحاح الاول من انجيله) ولما رأى المسيحيون ان هذه المقالات لم تكن تفي بالمقصود اما لنقصان في روايتها او لعدم الاركان الى كتبتها واما لاسباب اخرى الله اعلم بها عمدوا لوضع ما قام مقامها من الكتب المطولة والاخبار المفصلة فانبرى لهذا العمل الخطير عدد من الرسل انفسهم ومن خلفائهم الذين اعطوا قوة من الروح القدس ليكتبوا كل ما كان حرياً بالذكر وجديراً بالمعرفة

فالانجيل الاول كتبهُ الرسول متى لليهود المتنصرين من سكان فلسطين وذلك قبل ان ذهب للتبشير في اماكن اخرى

والثاني كتبه مرقس البشير تحت مناظرة القديس بطرس حسب التقاليد المعتبرة بين نرى البشير الثالث لوقا الطبيب كتب مقالته بعد الفحص والتدقيق في الاراضي المقدسة وارسلها الى احد الاشراف الرومانيين

واما الرابع فقد كتبهُ الرسول الحبيب يوحنا عما رآه وسمعهُ فشهله بصحة ما كتبه وشهادته كانت حقاً . ومما نعرفه من مصادر اخرى ان هذا الرسول كان يبشر في كنيسة افسس ومن المحتمل انهُ كتب انجيله اجابة لطلب اساقفة كنيسة افسس

ومع انهُ حدث بعض اختلافات في القرن الثاني المسيحي بين المسيحيين في بعض امور لم يحدث بينهم ما يستشف منهُ ادنى اختلاف او تباين افكار من جهة صحة هذه الاناجيل الاربعة بل كان الجميع على اختلاف اهوائهم واحداً معتقدين ان ما كتبه البشيرون الاربعة عن السيد المسيح له المجد هو عن الحقيقة لا يعتوره زيادة ولا نقصان وان كل مقالة هي بالحقيقة كتابة القديس المنسوبة اليهِ وما من احد ينكر ان القديس بوليكاربوس اسقف ازمير الذي استشهد في التسعين من عمره كان تلميذاً للقديس يوحنا الرسول وان القديس ايريناوس الذي كتب بكل صراحة وتدقيق شاهداً ومؤيداً صحة انجيل يوحنا كان تلميذاً لبوليكاربوس المشار اليهِ الذي ولا شك كان قد اخبر تلميذه ايريناوس صريحاً عن معرفتهِ الشخصية بالقديس يوحنا وعما يعرفهُ هو عنه ولولا ذلك لما حوت كتابات ايريناوس ما حوته من البراهين الدامغة والاقوال الثابتة مؤيدة ان المقالة الرابعة المسندة للقديس يوحنا هي لذات القديس المنسوبة اليهِ

هذا واذا طالعنا ما كتبه كل بشير على حدة ومن ثم قابلنا بين ما كتبه الواحد وما كتبه الآخر رأينا رغماً عما اشاعهُ البعض ورغماً عن تعدد الكتبة واختلاف الزمان والمكان ما يدل على وئام واتفاق تامين في سرد الحقائق وتقرير الوقائع وان الاربعة يسعون وراء تحقيق حقيقة واحدة وهي اثبات لاهوت وناسوت يسوع المسيح ونشر تعاليمه وعجائبه وحبه للجنس البشري حتى انهُ مات عنهم ليخلص جميع الذين يؤمنون بهِ

باب

المباحث الادبية

في الحزن والبكاء

على موت الانسباء والاصدقاء

من عادتنا نحن المسيحيين اننا حينما يستأثر الله باحد اخوتنا المؤمنين نقول لاقاربه ومعارفيه المحزونين ما معناه سكنوا روعكم . خففوا احزانكم كفكفوا دموعكم . لا تحزنوا ولا تبكوا لان فقيدكم لم يمت بل رقد رقاد الراحة وسيقوم في يوم الدينونة العامة فموته والحالة هذه ليس موتا ابديا انما هو انتقال من هذه الحياة الوقتية الى تلك الحياة الابدية ومن دار الشقاء والعناء الى دار الهناء والبقاء وما شاكل هذا من كلام التعزية الحقيقية المستخرج من الكتب الالهية

اما المحزونون ولاسيما اذا كانت المصيبة جديدة فقلما تؤثر فيهم امثال هذه التعازي مهما كانت عباراتها جميلة ومعانيها سديدة لا بل كلما اكثر المعزون من ذكر اسم الميت او ذكر الموت والاموات كلما تعاظم حزن المحزونين وازدادوا نحيباً وعويلا وذرف عبرات . واذا حاولت اقناعهم بعدم البكاء على الراقدين المنتقلين فربما اجابوك قائلين : وكيف يمكننا ان

نكفكف دموعنا ونصد جريان العبرات من عيوننا والطبيعة البشرية نفسها تأتينا بالدموع والعبرات بالرغم من انوفنا ؟ وقد يؤيدون قولهم هذا المبني على مقتضيات الطبيعة البشرية بشواهد عديدة من الكتب الالهية فيقولون لك مثلاً الا ترى كيف ان يوسف لما مات ابوه يعقوب وقع على وجه ابيه وبكى عليه وقبله (تك ٥٠ : ١) وان اخوة يوسف قد صنعوا لابيهم يعقوب مناحة سبعة ايام (تك ٥٠ — ١٠) وان داود النبي والملك قد بكى بكاءً عظيماً جداً على موت ابنه امنون (٢ مل ١٣ : ٣٦) وكذلك على موت ابنه ابيشالوم (٢ مل ١٨ : ٣٣) وان سيراخ الحكيم يوصي ابنه قائلاً « يا بني اسكب دموعاً على الميت » (سيراخ ٣٨ : ١٦) وان يسوع المسيح نفسه مع كونه الهاً وانساناً معاً لم يتمالك عن البكاء لما رأى مريم ومرثا اختي صديقه لعازر مع جميع الحاضرين في بيت عنيا يبكون وينوحون على موت لعازر بل اذ تعش بالروح اولاً وثانياً ثم دمع (يو ١١ : ٣٣ — ٣٨) فكيف نستطيع نحن اذن الا نبكي على موتانا والبكاء على الاموات لا بد منه بمقتضى الطبيعة البشرية فضلاً عن انه جائز على ما ورد في الكتب الالهية ؟ يقولون هذا ويعودون حالاً الى النحيب والبكاء

وأما المعزون فكثيراً ما لا يجدون سبيلاً الى الجواب فيصمتون لا بل كثيراً ما ينسحبون هم ايضاً بمجرى الحزن فيعمدون الى مشاركة اهل الميت بالنحيب والبكاء كأنه لم يبق عزاء ولا رجاء

ولكن ترى

محقون المحزونون باتوالهم واعمالهم هذه ام غير محقين ؟

اذا

دققنا الامعان بتعاليم ايماننا المسيحي بهذا الشان علمنا ان المحزونين محقون وغير محقين فهم محقون بقولهم ان البكاء على الاموات توجبه الطبيعة البشرية وتجيزه الكتب الالهية ولكنهم غير محقين بغالاتهم في الحزن والبكاء الى درجة اليأس وقطع الرجاء

بيان ذلك

ان بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل تسالونيكه يقول :

«لا اريد ان تجهلوا ايها الاخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم » [اتس ٤: ١٣] فواضح هنا ان الرسول يجيز للمسيحيين الحزن على موتاهم ولكن بشرط ان لا يكون حزنهم كحزن الباقين الذين لا رجاء لهم ولكن ترى من يعني الرسول بهؤلاء الباقين العادمي الرجاء ؟ يعني بهم جماعة الكفار الذين لا يؤمنون بوجود الله ولا بقيامة الاموات ولا بالحياة العتيدة فهؤلاء حينما يموت لهم نسيب اوحبيب ينوحون ويبكون بدون عزاء ولا رجاء نظراً لاعتقادهم الفاسد بان الذي يموت يزول من الوجود فلا يوجد بعد حتى يقوم او يعود

واما المسيحيون المؤمنون بيسوع المسيح الناهض من الاموات

وبالحياة العتيدة بعد الممات فمتى مات لهم نسيب او حبيب يحزنون ويبكون بمقتضى الطبيعة البشرية ولكن حزنهم او بكاؤهم لا يكون بيأس وعدم رجاء كأنه لا اجتماع فيما بعد ولا لقاء بل بالعكس اي انهم يحزنون ويبكون بمقدار معين من الله كما يهتف داود الملك والنبي قائلاً « تسقينا الدموع بالكيل » [مز ٧٩ : ٦] اي ان الله يجعل دموعنا على قدر احتمالنا فلا يدعنا نقع في اليأس والقنوط

والخلاصة

ان الطبيعة البشرية ترغمنا على اذراف الدموع بدون حد ولا مكيال ولكن الايمان بالله وبقيامة الاموات وبحياة اخرى بعد الممات لا يلبث ان يوقف مجاريها للحال فاذا مات ابي وامي واصبحت يتيماً لطيماً فالطبيعة البشرية تضطرني الى سكب العبرات السخية ولكن الايمان بالله يقابلها حالاً بالتعزية الحقيقية فيجعلني اقول مع داود النبي « ابي وامي تركاني واما الرب فقبلني » [مز ٢٦ : ١٠] واذا مات اخي واختي وسائر الاقرباء واصبحت مقطوعاً بدون اهل ولا انسباء فالطبيعة البشرية تحرك فيَّ عوامل الحزن والبكاء ولكن الايمان بالله يمسح دموعي ويسكب في قلبي بلسم الصبر والعزاء اذ يعلمني ان الرب يسوع هو اخي واختي وامي كما حقق ذلك له المجد بقوله « من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامي » [مت ١٢ : ٥٠] واذا مات صاحبي العزيز وصديقي

الحبيب فالطبيعة البشرية تجبرني على العويل والنحيب ولكن الايمان بالله يعزيني حالا اذ يعلمني ان يسوع هو صديقي الحبيب كما قال السيد لنا « انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم به » (يو ١٥ : ١٤) واذا مات وحيدي او وحيدتي او جميع اولادي واصبحت بدون نسل بعد ان كنت كثير الاولاد فالطبيعة البشرية تأتيني عفواً بالدموع والعبرات ولكن الايمان بالله يمنحني نعمة احتمال هذه المصائب بكل صبر وطول اناة اذ يعلمني ان اسلم امري لله تعالى كأيوب الصديق قائلا « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركا » (اي ١ : ٢١)

وخلاصة الخلاصة

ان المسيحي المؤمن بالله وبقيامة الاموات وبالحياة الاخرى يحزن على موتاه ويبكي ويأبى كل تعزية كما قال داود النبي « ابت نفسي ان تتعزى » [مز ٧٦ : ٢] وذلك بمقتضى الطبيعة البشرية . ولكنه حالما يذكر الله ابا المراحم والرأفات القادر وحده ان يحوّل المحزنات الى مفرحات يشعر بفرح داخلي وتعزية حقيقية فيهتف مع داود النبي قائلا « ذكرت الله ففرحت » [مز ٧٦ : ٣ لا بل يزداد ايمانه بقول السيد لمرثا الذي هو فوق كل تعزية وسلوى « انا هو القيامة والحياة . من آمن بي وان مات فسيحيى وكل من كان حياً وآمن بي لن يموت الى الابد » [يو ١١ : ٢٥ و ٢٦]

﴿ الخلاصة العسجدية ﴾

﴿ في الاعياد السيدية ﴾

ان الاعياد السيدية عموماً تقام سنوياً تذكاراً لسيرة سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح . وهي على نوعين متنقلة وغير متنقلة . فالمتنقلة تتبع عيد الفصح المجيد وترتبط به وهي اقدم الاعياد وغير المتنقلة تتبع عيد الميلاد الشريف وليس لها نفس القدم الذي للاولى وانما لها التقدم على المتنقلة في تاريخ سيرة السيد وعليه نبتدئ بالكلام عنها

ان الاعياد السيدية غير المتنقلة تبتدئ من عيد الميلاد وقد كان من الواجب ان تبتدئ من عيد البشارة الذي تدعوه الكنيسة «رأس خلاصنا» غير ان هذا العيد عادة يحصى مع الاعياد المختصة بوالدة الاله . والاعياد السيدية هي عيد الميلاد وعيد الختان وعيد الغطاس والدخول الى الهيكل والتجلي والصليب

عيد الميلاد

هذا العيد من الاعياد القديمة بين الاعياد غير المتنقلة فقد كان تباع باسيليدس في اوائل الجيل الثاني للميلاد يحتفلون به سنوياً انظر رمبوتي في تاريخ الطقوس والاعياد عدد ١٤ وانما كان منحصراً في بعض الكنائس وما عمَّ الا في الجيل الثالث وما بعده وكان المسيحيون

قبل الجيل الرابع يعيدونه مع عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني اي انهم كانوا يعيدون لظهور السيد على الارض وبما انه في اعتماده من يوحنا تحقق ظهور لاهوته للبشر وظهرت السجدة للثالوث اصبحوا يقيمون تذكار هذا الظهور في عيد الغطاس واستندوا في الوقت نفسه الى ما قاله لوقا البشير من ان يسوع المسيح لما ابتدأ في الكرازة كان له ثلاثين سنة ظانين انه اعتمد في نفس اليوم الذي ولد فيه . وبعد ما انتقل عيد الميلاد الى ٢٥ كانون اول لبثت بعض الكنائس تسمي عيد الميلاد عيد الظهور الالهي وفضلا عن هذا كانت بعض الكنائس تقيم في عيد الغطاس تذكار سجود المجوس وعرس قانا الجليل الذي فيه اظهر السيد مجده بعد اعتماده بمدة وجيزة ثم انفصل عيد الميلاد في منتصف العصر الرابع عن عيد الغطاس وانتقل الى ٢٥ كانون الاول لاسباب نذكرها في ما يأتي . وفي الجيل الخامس والسادس قد عمّ بين جميع الكنائس شرقاً وغرباً ما عدا الارمن نعييد هذا اليوم وتبعه تذكار الاطفال الذين قتلهم هيرودس

وكان الغربيون يحتفلون بهذا العيد كثيراً ويفضلونه على جميع الاعياد كما كان الشرقيون ولا يزالون يفضلون عيد الفصح المجيد . ونستدل على احتفال الغربيين بهذا العيد مما ذكره القديس امبروسيوس عن اعتناق شقيقته السيرة البتولية يوم عيد الميلاد في منتصف العصر الرابع على زمن اسقف رومية ليبريوس ومما ذكره القديس يوحنا الذهبي الفم في

خطاب القاه في كنيسة انطاكية في ٢٥ كانون الاول سنة ٣٨٦ قال فيه جلياً ان هذا العيد اتى الى الشرق من الغرب ودخل انطاكية قبل ذلك الزمان بمدة عشر سنوات تقريباً على ان هذا الخطيب العسجدي الفم كان قد القى خطاباً في السنة ذاتها في ٢٠ كانون الاول حرض فيه المسيحيين على الاستعداد لاستقبال عيد الميلاد بما يليق به من الاكرام والاحتفال ومن سياق الكلام يستدل على ان القديس يوحنا الذهبي الفم يجتهد كثيراً في ان يقنع السامعين بشان اهمية هذا العيد ويبث في قلوبهم نفس الاعتبار والاحترام اللذين كان يشعر بهما نحوه فقال ايها المسيحيون ان العيد المقبل علينا هو العيد الاكثر وقاراً وهيبة بين جميع الاعياد ولا نخرج عن محجة الصواب اذ قلنا انه ابو الاعياد الا وهو عيد ميلاد السيد بالجسد . . . . ولو لم يولد المسيح بالجسد لما كان اعتمد ولا صلب ولا ارسل الروح القدس ومن ثم فما كنا نتيم عيد الغطاس ولا الفصح ولا العنصرة . فمن عيد الميلاد المجيد قد تولدت جميع الاعياد السيدية وتدفقت منه كما تتدفق الانهار من ينبوع واحد فاطلب اليكم والتمس منكم جميعاً ايها الاخوة ان تتركوا منازلكم وتوافوا الى الكنيسة بجد ونشاط لنشاهد السيد موضوعاً في مذود الخ

وقد اجتهد المسيحيون بان يحددوا في اي يوم وشهر ولد المخلص ليخصصوه لتعييد الميلاد . فنظروا اولاً الى زمن الاكتتاب الذي جرى

على زمن ميـلاد المخلص والذي كان في ايام الشتاء كما اورد فم الذهب مستنداً الى اوراق رسمية كانت محفوظة الى ايامه في محلات الحكومة ودوائرها . ولاحظت ايضاً زمن خدمة ذكريا ابي يوحنا السابق التي في اثنائها ظهر له الملاك وبشره بميلاد يوحنا وقد حسبوا انها كانت في اواخر الشهر السابع اي ايلول ومن ثم بعد ستة اشهر في اواخر شهر اذار ظهر الملاك لمريم البتول ايضاً وبشرها بالحبل بيسوع وبعد تسعة اشهر اي في اواخر شهر كانون الاول ولد المخلص

واعتنى المسيحيون ايضاً في تحديد السنة التي ولد فيها السيد المسيح فقام في الجيل السادس راهب يدعى ديونيسيوس الصغير وقال ان ميلاد المخلص صار في السنة ٧٥٤ من تأسيس رومية او في اواخر سنة ٧٥٣ وقد جرى العالم المسيحي على قوله قديماً وتبعه المتأخرون . على ان اشهر العلماء المتأخرين فقد اجمعوا على ان الميلاد الخلاصي حدث في سنة ٧٤٩ من تاسيس رومية ويستندون في ذلك الى ما ذكره لوقا البشير من ان يوحنا السابق ابتداء يكرز في البرية في السنة الخامسة عشرة من تملك طيباريوس قيصر وطيباريوس تملك في اواخر سنة ٧٦٤ او في اوائل سنة ٧٦٥ من تأسيس رومية فاذا يوحنا ابتدأ بالكرازة في سنة ٧٧٩ وكان وقتئذ يسوع له نحو ثلاثين سنة فينتج انهُ ولد في سنة ٧٤٩ وفضلاً عن هذا فان يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير يذكر ان هيرودس قد مات في سنة

٧٥٤ من تأسيس روميه وقبل موته بمدة امر بقتل الاطفال من ابن سنتين فما دون واذ ذاك كان يوسف هرب بالصبي (يسوع) وامه الى مصر بايعاز من الملاك فيكون المخلص قد ولد قبل موته لا اقل من سنة ونصف

ولشدة التأثير الذي احدثه ظهور المسيح المخلص في العالم الذي غير احوال الهيئة الاجتماعيـة تغيراً كلياً وجدد حياتها الدينية والادبية اصبحت سنة ميلاد المخلص اساساً لتاريخ الحوادث التي قبله وبعده وكيف كان الامر فان يوم ميلاد السيد ايضاً كان من قديم الزمان موضوعاً للاعتبار والاكرام عند العالم المسيحي قاطبة ولا عجب في ذلك لانه فيه بزغت شمس المعرفة في العالم

« والشعب الجالس في الظلمة ابصر نوراً عظيما والجالسون في بقعة الموت وظلاله اشرق عليهم نور » (مت ٤ : ٦)

باب المباحث الروحية

البرهان

على حقيقة الطوفان

ان حادثة الطوفان التي يرويها لنا كاتب سفر التكوين موسى النبي بكل وضوح وبيان قد اثبت العلماء الاعلام وجود تقاليد وروايات عنها عند جميع شعوب الارض الاقدمين كالبابليين والاراميين والهنود الايرانيين واليونان والمصريين حتى جميع قبائل هنود اميركا بوجه الاجمال

وهذه التقاليد والروايات ولئن كانت تختلف بعضها عن بعض وعن رواية الكتاب من حيث الزمان والمكان وعدد الاشخاص الذين نجوا من الطوفان وكيفية نجاتهم واسمائهم وما شاكل الا ان جميعاً تشير الى امر واحد وهو حدوث طوفان عمومي في قديم الزمان هلك فيهِ الناس كافةً مع كل ذي جسد يدب على الارض ما عدا افراداً قلائل نجوا بعناية الهية خصوصية افليس وجود هذا التقليد العمومي عند جميع شعوب الارض برهاناً ساطعاً على حقيقة حادثة الطوفان التي يرويها الكتاب؟ والاَّ اي لو كانت رواية الكتاب عن حادثة الطوفان من باب الخرافات اليهودية كما يزعم الكفار فكيف انتشرت روايتها ورسخت في اذهان جميع شعوب الارض القريبين والبعيدين حتى عند هنود اميركا الاصليين ؟ وليس بالعكس اي ان انتشارها العميم ورسوخها في اذهان جميع الشعوب في كل مكان انما هو دليل صريح على كونها حادثة حقيقية لا خرافية يهودية ؟ . اما كيفية انتشار هذا التقليد العمومي عن حادثة الطوفان في كل مكان ورسوخه في الاذهان فهي انهُ حينما تكاثر الناس بعد الطوفان بنحو مئة وثلاثين سنة وكانوا لا يزالون عائشين في بقعة واحدة من الارض تسمى ارض شنعار (في ما بين النهرين) ارتأوا ان يبنوا مدينة وبرجاً عالياً يصل رأسه الى السماء خوفاً من حدوث طوفان ثانٍ كالاول على ان الله تعالى لم يدعهم ان يتمموا هذا العمل الذي كان اعظم دليل على عدم ايمانهم بوعد الله لجدهم نوح واولاده الثلاثة سام وحام ويافث بانهُ لا يكون فيما بعد طوفان آخر على الارض فبلبل لغتهم حتى لا يفهم احدهم على الآخر فاضطروا بحكم الضرورة ان يتفرقوا فتشتتوا على وجه الارض كلها حاملين معهم تذكار حادثة الطوفان الرائعة التي سمعوها من جدهم نوح نفسه الذي عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة وبالتالي كان حادث تبلبل الالسنة وتشتت الناس على وجه الارض كلها قبل موتهِ بمئتين وعشرين سنة فتأمل

ولما كان هذا البرهان المبني على التقليد العمومي المحفوظ عند جميع شعوب الارض من اعظم البراهين على حقيقة حادثة الطوفان قام بعض الذين لا يهنأ لهم عيش الا

بالاعتراض على اقوال الكتاب ولو بالافتراض فاعترضوا مفترضين كون الطوفان مكانياً لا عمومياً اي كون الطوفان لم يعم الارض كلها بل تلك الجهة منها فقط وهي كانت وقتئذ مأهولة بالسكان اي جهة ارمينيا وسورية وفلسطين وما بين النهرين على مثال الطوفان الذي لا يزال يحدث حتى ايامنا الحاضرة في كثير من الجهات

فنجيبهم

ان اقوال الكتاب عن ان المياه كثرت بهذا المقدار حتى انها « غطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء » (تك ٧ : ١٩) وانهُ « هلك كل ذي جسد يدب على الارض من الطير والبهائم والوحوش وجميع الزحافات التي تزحف على الارض والناس كافة » (تك ٧ : ٢١) وان المياه بقيت تتعاظم على الارض « مئة وخمسين يوماً » (تك ٧:٢٤) وما شاكل لا تدع ريباً البتة في ان الطوفان كان عمومياً شاملاً الارض كلها لا بعض جهاتها فقط والا لو كان هذا الطوفان مكانياً لا عمومياً فكيف يعقل ان مياهه التي ظلت تتعاظم في مدة خمسة اشهر كاملة حتى انها غطت الجبال الشامخة بقيت محصورة في بقعة واحدة من الارض ولم تجرِ على الافلى الى جميع السهول والوديان في سائر الجهات ؟ أليس هذا من المحال ؟ ولكن لو فرضنا المحال وقلنا ان الطوفان كان مكانياً اي انه جرى في تلك البقعة فقط من الارض التي كان نوح عائشاً فيها فلماذا حينئذ امر الله نوحاً ان يبني التابوت ويجمع فيه من جميع انواع الحيوانات التي على وجه الارض ؟ الم يكن اسهل وابسط من هذا العمل الشاق ولو امر نوحاً وعائلتهُ بالابتعاد عن المكان المزمع ان يهلك بالطوفان الى غير جهات من الارض كما امر الله فيما بعد لوطاً وعائلته ان يخرجوا من مدينة سادوم التي كان مزمعاً ان يهلكها » (تك ١٩) ؟ ثم ان الله تعالى قد وعد نوحاً بعد الطوفان بانه « لا يكون ايضاً طوفان ليتلف الارض » (تك ٩:١١) فلو كان الطوفان الذي جرى في ايام نوح مكانياً كما يزعمون وليس عمومياً كما هي حقيقة الواقع فما معنى وعد الله حينئذ لنوح بانه لا يكون ايضاً طوفان ليتلف الارض ؟

لاننا كثيراً ما نقرأه ونسمع حتى الآن عن حوادث طوفان مكاني في جهات عديدة نذكر منها التي حدثت قبل سنين قليلة في الولايات المتحدة الاميركية مثل طوفان مدينة جنستون بنسلفانيا في سنة ١٨٨٩ وطوفان مدينة كالفستون تكساس سنة ١٩٠٠ وطوفان كنساس ستي ميزوري وجميع البلدات التي على شواطئ نهر ميسيسبي في سنة ١٩٠٣ وطوفان جزر اليابان في سنة ١٩٢٣ وطوفان جزر اليونا في سنة ١٩٢٥ وغيرها بقي اذن . ان الطوفان الذي جرى في ايام نوح كان عمومياً لا مكانياً

وفضلا عن هذا فان جميع العلوم الطبيعية كعلم الجيولوجية وعلم الآثار القديمة وعلم الحيوان وعلم النبات وغيرها قد اثبتت بالبراهين الحسية كون طوفان ايام نوح كان طوفاناً عمومياً لا مكانياً . ففي اعالي كثير من الجبال التي تعلو سطح البحر من اثني عشر الف قدم لجبال كورديليرا في اميركا الى ستة عشر الف قدم لجبال حملايا في اسيا وقد وجدوا بقايا عظام حيوان لا تعيش عادة الا في السهول والوديان كالايل والفرس والدب والفيل وغيرها انظر بلاس .

Petre Simon Pallas Observ · Surla formation des mon - tagnes

لا بل قد وجدوا ايضاً عدة هياكل حيوانات متحجرة من انواع الحيتان والاسماك التي لا تعيش الا في البحار وذلك ليس فقط في اراض بعيدة عن الشواطئ البحرية بل ايضاً على قمم كثير من الجبال الشامخة . انظر فيلون

T·I· الافرنسي Fontonelle اما فونتونيل ·Philo Phys Sacr وليبنتز الجرمني فقد اكد كلٌ منهما على صخور بلاده رسوم بعض نباتات متحجرة لا توجد الا في الهند الشرقية واميركا الجنوبية . ولما اتى بعد ذلك العالم الطبيعي الشهير بفنون (Buffon) الافرنسي نابغة الجيل الثامن عشر وبحث في كل ماوردناه آنفاً من نتائج مباحث العلماء قال «ان هذه الحوادث كلها لا يمكن تعليلها الا

بقواعل طوفان «عمومي عظيم» انظر

Buffon «Hist nat Theorie de la terre » T·I

اخرون يعترضون قائلين

اذا لم يكن ماء غير ماء البحار والانهار فمن اين اتت بقية المياه التي غطت جميع وجه الارض لا بل ارتفعت ايضا فوق اعلى الجبال ؟

فنجيبهم

ان الكتاب يبين لنا ذلك باجلى بيان . اذ يقول «انفجرت عيون الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء» (تك ٧ : ١١) اي ان مياه الطوفان انفجرت وانحدرت من فوق . فمن تحت قد «تفجرت عيون الغمر العظيم» اي تفتحت مخارج للمياه من مستودعاتها العظيمة التي تحت الارض

ومن المعلوم انه فضلاً عن البحار والانهار التي تغطي تقريباً ثلاثة ارباع سطح الكرة الارضية توجد ايضاً مستودعات عظيمة للمياه ضمن الارض بدليل اننا حيثما حفرنا وجدنا ماء في اعماق مختلفة وهذه المستودعات هي بحسب شهادة علماء الطبيعة عظيمة بهذا المقدار حتى ان جميع الامواه الظاهرة على سطح الارض بالنسبة اليها هي كنسبة اليابسة لجميع البحار والانهار . ويؤيد قول العلماء هذا تاريخ تكوين العالم بحسب الكتاب اذ يقول ان الارض كلها قبل ظهور اليبس عليها كانت مغمورة بالمياه وانه في اليوم امر الله فاجتمعت المياه الى موضع واحد وهكذا ظهر اليبس «فدعى الله اليبس ارضاً ومجتمع المياه سماه بحاراً» (تك ١ : ٩ و ١٠) فمن هذا يتضح ان المياه التي خلقها الله هي كثيرة بهذا المقدار حتى انها كانت غامرة سطح جميع الكرة الارضية بوديانها وسهولها واكامها وجبالها . فهل يعقل والحالة هذه ان الموضع الواحد الذي اجتمعت اليه تلك المياه كلها هو البحار فقط ؟ واذا كان هكذا فمن اين يا ترى مياه العيون العديدة التي تتألف منها الانهار ؟ اذن لا شك في ان بعض تلك المياه الكثيرة وهو الظاهر للعيان قد تألفت منه البحار واما البعض الاخر وهو الاكثر فاجتمع الى مستودعات عظيمة ضمن

الارض ومنه منابع جميع الانهار ولهذا بحق يقول داود النبي والملك عن الارض ان الله « على البحار اسسها وعلى الانهار هيأها » (مز ٢٣ : ٢) وفي محل آخر يهتف قائلاً « اعترفوا الباسط الارض على المياه » (مز ١٣٥ : ٦)

لها صلة

كمال الانسان

والغاية من خلقة الانسان

ان كاتب كتاب التكوين موسى النبي عقيب كلامه عن خلقة الله الانسان يقول « ورأى الله جميع ما صنعه فاذا هو حسن جداً » (تك ١ : ٣١)

اذن يكون الانسان الاول قد خرج من يد خالقه حسناً جداً اي كاملاً من حيث نفسه وكاملاً من حيث جسده واولاً كون الانسان الاول قد خرج من يد خالقه كاملاً في نفسه اي في قواه العقلية والادبية معاً فيؤيده كاتب التكوين نفسه لانه اما عن كمال قوى نفس آدم العقلية اي عن كمال حكمته ومعرفته فيروي لنا موسى الحادثة الآتية وهي ان الله تعالى بعد ما جبل من الارض جميع حيوانات البرّية وجميع طير السماء « اتى بها آدم ليرى ماذا يسميها فكل ما سماه به آدم من نفس حية فهو اسمه فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء باسماء » (تك ٢ : ١٩ و ٢٠)

فهل من برهان اعظم من هذا على كمال عقل آدم الذي بدون اعمال الفكر واجهاد القريحة ولا تردد بل حالاً بمجرد نظره الى كل نوع من انواع البهائم والطيور المتعددة الاجناس والمختلفة الاشكال قد اعطاه اسماً مناسباً ؟ لان كل حيوان اعطاه آدم اسماً « فهو اسمه » اي اسم موافق لطبيعته بالتمام بدون ان يخلط بغلط مسمياً مثلاً حيواناً اليفاً باسم حيوان بري او حيواناً وديعاً باسم حيوان ضاري او بالعكس .

واما عن كمال قوى نفس آدم الادبية اي عن كمال طهارته واستقامته فيقول موسى النبي ان آدم وامرأته حواء « كانا كلاهما عريانين وهما لا يخجلان » (تك ٢ : ٢٥) وقد اثبت هذا الحكيم في الجامعة اذ قال : « انما وجدت هذا ان الله صنع الانسان مستقيما » [جا ٧ : ٣٠]

وثانياً كون الانسان الاول قد خرج من يد خالقه كاملاً في جسده ايضاً اي في القوة الجسدية والعافية والجمال فيكفي لاثبات هذا كونه صنعة الخالق الفائق الحكمة والكلي الاقتدار والمتناهي في الكمال كما شهد بذلك يشوع بن سيراخ اذ قال « خلق الرب الانسان من الارض والبسه قوة بحسب طبيعته » [سيراخ ١٧ : ١ و ٣] وكما يشهد حتى الآن تركيب جسم الانسان الذي يحير العقول ويخلب الاذهان

على ان كمال الانسان هذا لم يكن مطلقاً اي لا حدّ له ولا نهاية فان كمالاً كهذا انما هو مختص بالله وحده سبحانه وتعالى بل كان محدوداً

اي محتاجاً الى الترقي في المعرفة والصلاح بمحافظة الانسان على صورة الله ومثاله اسمى بسعيه المتواصل وراء الغاية التي خلقه الله لاجلها كي يتكمل رويداً رويداً كما تتكمل عقول الملائكة والبرهان على ان كمال الانسان الاول كان محدوداً من حيث قواه العقلية والادبية معاً هو انخداعه حالا من الحية وسقوطه في الخطيئة [تك ٣ : ١ — ٧]

اما الغاية

من ابداع الانسان فهي تمجيد الله مبدع الاكوان لا بل تمجيد الله هو غاية الخليقة باسرها من ناطقة وغير ناطقة كما يهتف داود الملك والنبي قائلا « السماوات تنطق بمجد الله والجلد يخبر باعمال يديه » [مز ١٨ : ٢] ولهذا يستدعي هذا النبي كل خليقة وكل نسمة لاتمام الغاية الجليلة التي خُلقت لاجلها وهي تمجيد الله وتسبيحه اذ يقول « سبحوا الرب من السماوات . سبحوه في الاعالي . سبحوه يا جميع ملائكته سبحوه يا جميع جنوده . سبحيه يا جميع الكواكب والنور . سبحيه يا سماء السماوات ويا ايتها المياه التي فوق السماوات . لتسبح هذه اسم الرب فانه هو امر فخلقت . سبحي الرب من الارض ايتها التنانين وجميع الغمار . النار البرد الثلج والضباب . الريح العاصفة الممضية كلمته . الجبال وجميع التلال . الشجر المثمر وجميع الارز . الوحوش وجميع البهائم الدبابات والطيور ذات الاجنحة . ملوك الارض وجميع الشعوب

الرؤساء وجميع قضاة الارض . الاحداث والعذارى . الشيوخ مع الصبيان ليسبح هؤلاء اسم الرب فان اسمه عالٍ وجلاله فوق الارض والسماوات [مز ١٤٨ : ١ — ١٤] وبوجه الاجمال « كل نسمة فلتسبح الرب » [مز ١٥٠ : ٦] اما فيلسوف العهد القديم يشوع بن سيراخ فيقول ان الرب « جعل عينه على قلوب الناس ليظهر لهم عظائم اعماله ليسبحوا اسمه القدوس ويخبروا بعظائم اعماله وزادهم العلم واورثهم شريعة الحياة وعاهدهم عهد الدهر واراهم احكامه فرأت عيونهم عظائم المجد وسمعت آذانهم مجد صوته » [سيراخ ١٧ : ٧ — ١١] وقد صرّح الرب نفسه بهذه الحقيقة اذ قال [كل من يدعى باسمي فاني لمجدي خلقته وجبلته وصنعته] [اش ٤٣ : ٧] كذلك ايضاً في كتاب العهد الجديد نجد شهادات عديدة على ان الغاية من خلقة الانسان هي مجد الله . فبولس الرسول يقول ان الله اختارنا في المسيح من قبل انشاء العالم [لحمد مجد نعمته التي انعم علينا بها في الحبيب . . لنكون لمدح مجده] [اف ١ : ٤ و ٦ و ١٢] اما الرب يسوع المسيح فقد صرّح لنا ان عمل الفداء الذي هو اعظم محبة الله للانسان انما غايته مجد الله [انا لا اطلب مجدي فانه يوجد من يطلب ويدين . . . ان كنت انا امجد نفسي فليس مجدي شيئاً ابي هو الذي يمجدني وهو الذي تقولون انتم انه الهكم] [يو ٨ : ٥٠ و ٥٤] ثم في خطابه الاخير نحو تلاميذه قال [الآن تمجد

ابن البشر وتمجد الله فيه] (يو ١٣ : ٣١) وقبيل آلامه الخلاصية قال في صلاته الى الآب [يا ابت قد اتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك . انا قد مجدتك على الارض واتممت العمل الذي اعطيتني لاعمله] (يو ١٧ : ١ و ٤) كذلك حضور الرب الثاني سيكون لمجده تعالى كما يشهد بولس الرسول قائلاً [متى جاء (الرب) ليتمجد في قديسيه ويظهر بالعجب بين جميع المؤمنين] (٢ تس ١ : ١٠)

ولكن ترى

ما هي الواسطة التي تمكن الانسان من اتمام الغاية التي خلقه الله لاجلها اعني بها تمجيد الله قد اشار اليها ربنا والهنا يسوع المسيح بقوله لنا [هكذا فليضيء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات] [مت ٥ : ١٦] اي هي الاعمال الصالحة العائدة لمجد الله ولهذا قد خلق الله الانسان على صورته ومثاله اي ليكون قادراً على السعي دوماً وراء تكميل قواه العقلية والادبية بممارسة الاعمال الصالحة الى ان يصير شبيهاً بالله من حيث القداسة والكمال كما امرنا الرب في العهد القديم قائلاً [كونوا قديسين لاني انا قدوس] لاويين ١١ : ٤٤ و ٤٥ وفي العهد الجديد ايضاً اذ قال [كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل] مت ٥ : ٤٨ فقدرة الانسان على التشبه بكمالات الله

هذه هي صورة الله المطبوعة في جوهر نفس الانسان واما الاجتهاد

للبلوغ الى الكمال بممارسة الاعمال الصالحة فهو غاية حياة الانسان على الارض . وبناء عليه يكون تمجيد الله عبارةً عن اظهار كمالاته الالهية في الخليقة كلها ولا سيما الانسان الذي جعله الله يتسلط على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الداب على الارض [تك ١ : ٢٨] اسيّ جعله ملكاً على الخليقة الارضية باسرها او كوسيط بين الارض والسماء وبين الخليقة الارضية والخالق لان الانسان بما منحه الله اياه من العقل والارادة والنطق هو وحده القادر ان يقدّم لله تمجيدات سائر المخلوقات الغير الناطقة

وتأمل الآن

ايها القارئ العزيز بحكمة الله التي خلقت الانسان بعد سائر المخلوقات كلها ذلك كما يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي في مقالته على اسبوع التجديدات لان الانسان ملك كان من الواجب ان يهيأ البلاط الملوكي اولاً ومن ثم يدخل الملك اليه مصحوباً بجميع الخلائق

فمملكة الخلائق كلها قد تمت وكملت ولم يعد يعوزها الا ملكٌ يرأسها يكون جامعاً للروح والمادة ليكون الرابطة ما بين السماء والارض والواسطة ما بين الخالق والخليقة وهو ذا حسب قول كاتب التكوين موسى النبي لم يلبث الله جلَّ جلاله بعد ابداعه المخلوقات كلها حتى خلق الانسان على صورته على صورة الله خلقهُ ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم

انموا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدابّ على الارض   تك ١ : ٢٧ و٢٨ فخصات الخليقة الارضية اذ ذاك على سيدها ووسيطها وملكها اعني به الانسان

من جملة اقوال فولتيير الهزئية برواية موسى عن تكوين العالم قوله لو كان الانسان حقّاً معداً لان يكون ملكاً على كل الخليقة كما يقول موسى لكان من الواجب ان يكون جسمه اكبر على الاقل من اكبر حيوان في الطبيعة وقد فات هذا الكافر المجوني ان الانسان الذي كلله الله بالمجد والكرامة مز ٨ : ٦   اي زانه بالعقل والارادة كان مزمعاً ان يُخضع جميع الخليقة الارضية الى سلطته بقوة عقله وارادته لا بقوة جسمه او بضخامته . وفي الحقيقة ان الانسان بواسطة عقله وارادته قد اخضع ولا زال يُخضع الخليقة الارضية الى سلطته . وقد شاهدنا عجائب اختراعاته واكتشافاته التي تزداد يوماً عن يوم جاعلة الطبيعة مع جميع عناصرها طوع بنانه واسيرة جنانه .

فما قاله موسى منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف سنة عن ان الله خلق الانسان ليكون سيداً وملكاً على الخليقة الارضية باسرها قد حققه الان العلم بكل دقائقه ولا عجب لان كل ما كتبه موسى انما كان بالهام الله تعالى اله العلم والمعرفة « ١ مل ٢ : ٣ »

عيد

الظهور الالهي

تهنىء أخوتنا ابناء الكنيسة الرسولية الارثوذكسية الجامعة بتعييدهم هذا التذكار الالهي المقدس وبهذه المناسبة نذكر لمحة عنهُ فنقول

ان الكنيسة المقدسة الرسولية كانت تصنع هذا التذكار حتى القرن الرابع بعد المسيح مع تذكار ميلاده المجيد اي انهم كانوا يعيدونه لظهور السيد على الارض وبما انهُ في اعتماده من يوحنا تحقق ظهور لاهوته للبشر وظهرت السجدة للثالوث كما اوردنا ذلك سابقاً . وفي منتصف القرن الرابع صار الميلاد يعيد في ٢٥ كانون اول واستمر التعييد للظهور الالهي في ٦ كانون الثاني

في هذا اليوم تحتفل الكنيسة المقدسة بتذكار معمودية المخلص التي باعتمادنا بها قد نجونا من رق عبودية الشيطان اذ محي الصك المكتوب فان ربنا يسوع المسيح اعتمد نحو السنة الثلاثين من عمره من يوحنا بن زخريا واليصابات الذي لقب بالمعمدان وحسب طلب ابيه قضى عيشة ناصري اي لم تعلُ رأسه موسى ولم يشرب خمراً ولا مسكراً آخر حتى انهُ لم يأكل عنباً ولا زبيباً وبقي عاكفاً على هذه العيشة النسكية في عبر الاردن وسط البراري والقفار متشحاً بوبر الابل ومتمنطقاً بمنطقةٍ من جلد ولا يأكل سوى الجراد والعسل البري ومن حين ولادته كان قلبه متجهاً الى مثل هذه المعيشة كما اذاع عنهُ الملاك جبرائيل

وفي السنة الخامسة عشرة لسلطنة طيباريوس قيصر رومية كانت كلمة الله عليه وعقب معيشته الطويلة المادئة كلام التعاليم الحار وكأننا به في بيت عنيا الواقعة وسط وادي الاردن بين بحيرة الجليل والبحر الميت وهي غير بيت عنيا التي بقرب جبل الزيتون قد ابتدأ يكرز هكذا : توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات فان هذا

المقول عنه في اشعيا النبي القائل «صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب واصنعوا سبله قويمة»

وكان كثيرون من كل اليهودية والجليل والسامرة حتى اورشليم المقدسة والذين في عبر الاردن يأتون الى يوحنا وكان يثابر على تعميد جميع الذين يتقدمون اعني يغطسهم في نهر الاردن (ويعظهم) وهذه العادة التي ادخلها كانت رمزاً الى قداسة نفسية مستفادة من طهارة الجسد بواسطة المعمودية ولما كان الجمع يظن بانه يسوع اجاب يوحنا «اما انا فاعمدكم بالماء ولكن يأتي من هو اقوى مني الذي لست اهلاً ان احل سيور حذائه فهو يعمدكم بالروح القدس ونار»

وفيما كان يوحنا يطوف معمداً على الشاطىء الايمن من نهر الاردن اقبل اليه يسوع وهو في الثلاثين من عمره وكان نسيباً ليوحنا لكن عائلتيهما كانتا بعيدتي السكنى عن بعضهما فلذا لم يتقابلا قبلاً . ومن المقرر انهما كانا يعرفان بعضهما سماعاً لا عياناً فلما حضر يسوع امام يوحنا عرفه بنفسه وبما انه حسب العادة كان مزمعاً ان يعترف قبل المعمودية فمن اعترافه ادرك يوحنا مقدار طهارة وسمو نفس ذاك الذي كان امامه فانكر جهاراً ان يعمده قائلاً «انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ» فاجاب يسوع «دع الان فانه يجب علينا ان نتمم كل عدل» فحينئذ تركه يوحنا بعد ما عمده (حسب تقاليد الرسل القديسين في الساعة العاشرة من ليل الثلثا في ٦ كانون الثاني على رواية ابيفانيوس

واذا تمّ ربنا هذا الامر الناموسي بالمعمودية نقض اللعنة التي نالها آدم بمخالفته الشريعة الالهية وانقذنا من القضاء وازال من ثم كل شريعة رمزية مصعداً اياه الى الشريعة الروحية والكمال ومن ثم ابطل معمودية اليهود وسلم الينا نحن المؤمنين به المعمودية ذات ثلاث الغطسات المحتوية على نعمة الروح القدس التي لم تكن في معمودية يوحنا . فالرب باعتماده اتم المعمودية الظلية غير الكاملة . بل فتح ابواب معمودية الكنيسة الروحية الالهية وصار علة لاعلان لاهوته وللثالوث الذي هو سر كنيستنا العظيم ان المسيح باعتماده لم يقدس نهر الاردن فقط بل كل طبيعة المياه كما يشهد

جلياً يوحنا الذهبي الفم في مقالته عن معمودية المخلص قائلاً

هذا هو اليوم الذي فيه اعتمد المسيح وقدس طبيعة المياه ولذلك جميعنا في نصف ليل هذا العيد نستقي الماء ونحفظه في البيوت مدة السنة بكاملها لاعتقادنا ان المياه قد تقدست اليوم ولنا على ذلك ادلة فعلية هي عدم فساد تلك المياه مدة السنة بكاملها بل مدة سنين كثيرة اذ يستمر الماء المستقى اليوم لا يطرأ عليه فساد

وليعلم ان معمودية يوحنا كانت لها غطسة واحدة ونشلة واحدة فكانت اسمى من معمودية اليهود وادنى من معموديتنا بمثابة جسر لكلتا المعموديتين موصلة من الواحدة الى الاخرى لان يوحنا لم يقل اغسل ثيابك وارحض جسمك وكن طاهراً لكن قال اصنعوا اثماراً تليق بالتوبة ولم يكن لمعموديته منح الروح القدس ولا غفران الخطايا . اما الرب فلم يعتمد بمعمودية اليهود ولا بمعموديتنا بل بمعمودية يوحنا وقد اعتمد لسببين الاول ليظهر انه ابن الله مشهوداً له بحلول الروح القدس بهيئة حمامة اذ انفتحت السماء ونزلت عليه وبصوت الله من السماء شاهداً ومحققاً الوهية ابنه بقوله « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » والثاني ليتمم كل عدل كما يحقق ذلك الذهبي الفم في مقالته المشار اليها ومثله سائر آباء الكنيسة القديسين كما يتضح من اقوالهم

ان الكتاب المقدس يوضح لنا ان الختان في العهد القديم كان رسماً لسر المعمودية المقدسة التي بها ندخل في عهد الذي وضعه لنا في العهد الجديد ، وان المعمودية محل الختان كما اوضح لنا ذلك بولس الرسول بقوله « وبه ايضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرة بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم ايضاً معه بايمان عمل الله الذي اقامه من الاموات واذ كنتم امواتاً في الخطايا وغلف جسدكم احياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا . اذ محا الصك الذي علينا في الفرائض » (كولوسي ٢: ١١ و١٤) وقال ايضاً « لانه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة » (غلا ٦: ١٥)

فما هي الخليقة الجديدة يا ترى ؟ أليس هي الميلاد الجديد بيسوع المسيح بالماء والروح . (وهي بدلاً من الختان) وقد تحرر تعريف الشريعة هكذا ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يستطيع ان يدخل ملكوت الله (يو ٣: ٥) وهذا يستنتج بكل صواب من مخاطبة السيد المخلص لنيقوديموس اذ قال له «الحق الحق اقول لك ان لم يولد احد من فوق فلا يستطيع ان يرى ملكوت الله » فقال له نيقوديموس كيف يستطيع الانسان ان يولد وهو شيخ هل يستطيع ان يدخل بطن امه ويولد »اجابه يسوع الحق الحق اقول لك ان المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح روح هو» (يو ٣:٣و٦)فخضع الايمان من ثم لضرورة المعمودية للتقرب من الله اذ يولد بها الانسان بالروح وهذا هو الكمال وأعلنت ضرورتها بكلام المخلص الذي قاله لتلاميذه بعد قيامته من بين الاموات وهو «اذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨: ١٩)

سيرة

القديس افسطاثيوس وزوجته وولديه

تابع لما قبله

وبينما افسطاثيوس يقول هذا سمع صوتاً قائلاً تشجع وثق يا افسطاثيوس لانك في هذه الايام ترجع اليك كرامتك الاولى وتجد زوجتك وولديك وفي القيامة العتيدة ستنال خيرات عظيمة وافرة جداً وسيكون اسمك عظيماً الى الابد

فاذ

سمع القديس هذا الصوت ارتعد وجلس . ولما رأى ان الجنديين قد اقتربا منه حالا نزل من مكانه وانتصب في طريقهما وعندما وصلا اليه تأكد معرفتهما واما هما فلم يعرفاه في بادىء الامر لان البسته كانت مغيرة وكذلك هيئته لكثرة الاحزان والاتعاب وقد نحل جسمه فقالا له السلام لك يا صاحب فقال لهما القديس السلام لكما يا اخوي فقالا له اتعرف في هذه القرية رجلاً غريباً ومعه زوجته وولدان لهما فان كنت تعرفه ارنا اياه ونحن نعطيك مهما طلبت قال لهما القديس ولماذا تفتشان عليه فقالا له انه صاحبنا ونريد ان نشاهده لاننا لنا زمان طويل ما رأيناه فقال لهما القديس ان هذا الانسان ليس هو في هذه القرية ولكني ارجوكما ان تجلسا قليلاً في هذا المكان لانني انا ايضاً غريب لتستريحا هنا ثم تمضيا بسلام فجلسا ليأخذا راحة واما القديس فمضى الى صاحب له في القرية وطلب منه دراهم قرضة الى ان يقبض اجرته وعندها يدفع له القيمة مع الفائظ ايضاً فاعطاه مطلوبه فمضى القديس واشترى خبزاً وخمراً وبعض اشياء ورجع قدّم لهما اكلاً فجلسا يأكلان وهو يخدمهما واذ ذاك تذكر كرامته الاولى فتحرك به الحزن فتنحّى عنهما وبكى ثم مسح دموعه ورجع اليهما وقد فعل ذلك مرتين بدون ان يشعرا به ولا خطر ببالهما ان هذا هو الذي يطلبانه ثم لما صار يذهب ويجيء امامهما بسرعة اخذا

يتفرسان به ويستعرفان عليه ثم التفت انطوخيوس الى رفيقه اكاكيوس (هذا اسمهما) وقال له سراً على حسب ظني ان هذا هو الذي نفتش عليه فقال له اكاكيوس نعم وانا اوأكد ان هذا هو بعينه ولكنني اعرف جيداً ان بلاكيذاس مجروح في عنقه جرحاً خفيفاً من ضربة سيف فالآن يجب ان نتمم النظر جيداً ان كان توجد فيه هذه العلامة فيكون هو بذاته والاَّ فلا يكون هو فتفرّسا فيه جيداً فوجداه هو بعينه واذ ذاك فرحا فرحاً عظيماً جداً وعانقاه وصارا يقبلانه قائلين له انت هو بلاكيذاس قائد العسكر فاذ سمع القديس هذه الاقوال منهما فاضت عيناه بالدموع وقال لهما لا يا اخويَّ لست انا القائد الذي تذكرانه واما هما فلم يصدقا انكاره ذاته عليهما بل صارا يقسمان له الايمان انهُ هو بذاته بلا شك وقد اخبراه عن زوجته وولديه وعن حالته الاولى فلما سمع القديس منهما ذلك لم يعد يستطيع ان يخفي ذاته بل اعترف بواقعة الحال وقال لهما ان زوجته وولديه قد ماتوا وقد شاع هذا الخبر في القرية فخرج الجميع لينظروا قائد العسكر وعندما ابصروه معروفاً من الجنديين انذهلوا وقالوا في ذواتهم عجباً الى اي درجة تنازل هذا الرجل العظيم عندنا وكم احتمل من الاتعاب والذل ثم ان الجنديان اطلعاه على الامر الملوكي والبساه البدلة الرسمية واخذاه ليذهبا به الى رومية وقد ودعوهم اهالي تلك القرية وشيعوهم خارج القرية لان القديس لم يتركهم ان يبتعدوا اكثر ولما ساروا في الطريق

اخذ القديس يخبرهما كيف ابصر المسيح وماذا قال له الخ . . وكيف ان ذلك القبطان الشرير قد اغتصب امرأته منه وكيف الوحوش قد اختطفت ولداه وافترستهما ونهاية القول انه اخبرهما بكل ما اصابه . وبعد خمسة عشر يوماً وصلوا الى الملك الذي لما سمع ان بلاكيداس قد وجد وانه آت قد خرج بذاته لملاقاته ومعه جميع رجال دولته ولما وصل امامه اعتنقه مقبلاً اياه ومقدماً له الاكرام اللائق وسأله لماذا تركه كل هذه السنين فاخبره القديس جهاراً امام الجميع كيف انه آمن بالمسيح ووضع في فكره ان يتوجه الى اورشليم وكيف خسر زوجته في المركب وعدم ولديه اللذين افترستهما الوحوش ففرح الملك جداً وجميع رجال مملكته وجنوده بوجود قائد عساكرهم الشجاع وقد طلب الملك منه ان يقبل ويرجع الى رتبته السامية ويتردّى بلباس الشرف وبعد الجهد قد قبل القديس ذلك لان هذه مسرّة الله والى هذا الحد قد انتهت مصائب وتجارب هذا القديس

والان فاسمعوا يا ايها القرآء الكرام كيف ان وجد زوجته وولديه وانظروا اخيراً كيف انهم كلهم قد نالوا اكليل الشهادة لاجل اسم المسيح . فنقول بعد ان مسك القديس زمام رتبته قد وضع في فكره ان يحصي جيشه فاحصاه واذ لم يجده كفواً ارسل اوامر ملوكية الى كل الجهات الرومانية ليجمعوا عساكر وبارادة الله قد وصل بعض هذه الاوامر الى تلك القرية التي كان فيها ذانك الاخان اللذان خطفتهما الوحوش وقد

انقذها اهالي تلك القرية كما ذكرنا فيما سلف اعني بهما ولدي قائد العساكر بذاته لكونهما غريبان قد كتبوهما في العسكرية وكانا جميلين جداً وعاقلين ومع وجودهما في قرية واحدة لم يكن احدهما يعرف الآخر . ولما حضرت العساكر من جميع الجهات اجتمعت كلها امام القائد ومن الجملة ولداه فرتب الجميع كما اراد كلاً حسب استحقاقه ولما وصل الى ولديه تحرك قلبه لهما ونظراً للطافة اخلاقهما ورصانة عقلهما قد جعلهما يخدمان مائدته وهكذا قاد جيشه اذ تقدم في اولهم لمحاربة اولئك البربر الذين عصوا وتمردوا على الملك وانتصب الحرب وقام القتال بين الفريقين فقوي عليهم وقهرهم واسترجع تلك المدن والقرى التي كانت اخذت وقتل الذين لم يدخلوا تحت الطاعة وتقدم الى نهر خريسيس وقهر ايضاً جميع البربر الذين هناك

ولما رأى ان الله قد اخذ بيده وكيف انه اينما توجه يغلب فتقدم الى داخل البلاد ايضاً وكان يقهر الجميع ويجعلهم تحت الطاعة ويفرض عليهم الجزية للملك طرائيانوس الى ان انتهى الى تلك القرية التي كانت فيها ثاوبيستي زوجته كما ذكرنا قبلاً عنها وقد نزل بجيشه في تلك القرية ونصبوا خيامهم هناك في بستان ليأخذوا راحة وبالتقادير نُصبت خيمته بجانب المسكن الذي كانت فيه زوجته وذلك لان البستان كان واسعاً جداً وكان ملكاً للقبطان الذي اغتصبها منه فمكثوا هناك للاستراحة ثلاثة ايام هم وخيلهم . وفي اثناء ذلك قد ذهبا الاخان باطمة لتصلحهما صاحبة ذلك

المنزل (التي هي والدتهما) بدون ان يعرفا انها امهما فقدما لها الاطعمة لتطبخها وجلسا خارجاً ينتظران نضجها واذ كانا جالسين وحدهما قال الاصغر كم لنا يا اخي في خدمة سيدنا ولم يسأل احدنا الآخر من اين انت فقال له الاكبر وانا ايضاً كنت احب ان استخبر منك ولكن لعدم وجود فرصة لنا للاجتماع وقتاً كافياً لم اسألك فالآن يجب على كل واحد منا ان يخبر الآخر من اي البلاد هو وسبب وجوده قبلاً في هذه القرية فانا غريب في هذه الديار واتيت صغيراً وقد ولدت في مدينة رومية وكان والدي قائد عسكر عند الملك وكانت والدتي جميلة جداً وكان لي اخ اصغر مني ذو شعر اشقر مثلك جميل للغاية فوالدي قد اخذ والدتنا واخذني انا واخي ايضاً ولست اعرف الى اين كان مراده ان يتوجه بنا فركبنا في مركب ولما نزلنا منه تخلفت والدتنا ولم تنزل معنا ولست اعلم لاي سبب قد بقيت في المركب بل اعرف ان والدي قد اخذني انا واخي وخرج من المركب وترك والدتنا هناك وسرنا في الطريق حتى وصلنا الى نهر ولما كنا صغاراً ولم يمكننا ان نجتاز ذلك النهر (نقطعه) التزم والدنا ان يجتاز بنا واحداً فواحداً حاملاً ايانا على ظهره فاخذ اخي الاصغر اولاً واجتاز به الى الجهة الاخرى من النهر وتركني في مكاني ولما رجع ليأخذني ويجتاز بي الى جهة اخي وهو في وسط النهر هجم ذئب على اخي وحمله بانيابه وهرب كذلك انا هجم عليَّ اسد واختطفني اما انا فانقذني منه الرعاة الذين كانوا

في ذلك الوادي واخذني احدهم وربّاني في بيته في تلك القرية التي كنّا فيها كما تعرف انت ولست اعلم ماذا اصاب والدي المسكين ولا كيف جرى باخي فاذ سمع الاصغر هذه القصة التي قصها عليه اخوه الاكبر كاد يطير من الفرح وقال له وقدرة المسيح الذي نعبده اننا نحن اخان فانت اخي وانا اخوك وقد تأكدت الامر من هذا الكلام الذي قلته لي ان ذئباً اختطفني لان الذين ربوني كانوا يقولون لي دائماً انهم خلصوني من فم الذئب وعندئذ قاما وقبّلا بعضهما بعضاً بفرح عظيم وسرور اعظم فلما ابصرتهما والدتهما يتقبلان بعضهما بعضاً وكانت قد سمعت حديثهما تحركت جوانحها وارادت ان تكشف لهما حقيقة الامر ولكن لم يكن معهما ومعها فرصة لذلك لان وقت الاكل قد حان ولا سيما انهم طلبوهما لترتيب المائدة فاخذا الطعام وذهبا سريعاً واصلحا المائدة لسيدهما فأكل

وفي اليوم الثاني توجهت ثاوبيستي الى الخيمة لترى ذينك الاخوين وتكشف لهما امرهما فلم تنظرهما لانهما كانا مشغولين في خدمة سيدهما فرجعت وفي طريقها وجدت القديس القائد جالساً في ظل شجرة فلما لحته مال قلبها اليه وارادت ان تخاطبه فتقدمت اليه وقالت له انني اتضرع اليك يا سيدي ان تسمع لي انا أمتك فاجابها تكلمي ولا ترتابي فقالت له « انني من مدينة رومية وقد أُحضرت الى هنا اميرة فارجوك ان تأخذني معك وترجعني الى وطني » وكانت تخاطبه وهي تتفرّس في وجهه وملامحه

جيداً فلاح لها انه زوجها بعينه ولكنها هابت ان تكشف له امرها او تسأله من انت واخيراً عندما تأكدت من تدقيقها بالنظر اليه انه زوجها بلا شك اصلاً سقطت على رجليه وقالت له اني انضرع اليك يا سيدي ان لا تغضب عليَّ بل ارجوك ان تخبرني عن حالتك الاولى اذ انني اظنك انك انت قائد العساكر بلاكيذاس الذي اهتدى الى الايمان بالمسيح لما ابصره مصلوباً بين قرني الايل وبما ان الله قد سمح بان يجرب باصابته المصائب الاليمة واخيراً اراد السفر الى اورشليم فاخذ زوجته التي هي انا وولداه الذين هما اغابيوس وثاوبستيوس وتوجهنا جميعاً في طريقنا فركبنا مركباً وبما ان القبطان كان شريراً جداً اغتصبني من زوجي واخذني طامعاً بي ولكن اشهد عليَّ يسوع المسيح يا سيدي وجميع الملائكة والقديسين انني ما تنجست به ولا دنست عرضي لا مع ذاك القبطان ولا مع احد غيره بل انا الى الآن حافظة عرضي بدون ان اتدنس مع رجل آخر ايضاً

فلما سمع القديس هذه الاقوال منها وما رآه من العلامات التي يعرفها بها تأكد انها هي زوجته بذاتها فحالاً وقف على رجليه وصرخ بصوت عظيم والدموع تفيض بغزارة من عينيه وقال «المجد لك يا الهنا المجد لك» فها انني انا بذاتي ذاك الرجل الذي تقولين عنه فاعتنقا بعضهما بعضاً بقبلة قديسة شاكرين وممجدين الله . ثم قالت له امرأته يا سيدي العزيز اين ولدانا

فاجابها والدموع ملء عينيه ان الوحوش قد افترستهما قالت له وكيف ذلك اجابها باكياً انني لما خرجت بهما من المركب وتركناك فيه عند ذلك الوحش فخرجت حزيناً عازماً ان اذهب في طريقي فصادفت نهراً كبيراً لا بد لنا من اجتيازه فاخذت ولدنا الصغير وحملته على كتفي واجتزت به الى الجهة الثانية فتركته على شاطيء النهر ورجعت لآخذ الثاني واذ كنت في وسط النهر نظرت واذا ذئب قد خطف الاصغر واسد قد اختطف الاكبر وهكذا قد صار الاثنان فريسة للوحوش الضارية فقالت له زوجته يا سيدي قدّم مجداً لله ان ولدينا هما في قيد الحياة الى اليوم وهما في خدمتك معك وانا البارح قد سمعت منهما هذه الاقوال التي قلتها لي الآن وان كنت لا اصدق كلامي فاحضرهما الآن واسمع منهما بذاتك فاحضرهما القديس حالاً وقال لهما اخبراني من اي البلاد انتما وما هي قصتكما فقام الاكبر وحكى قصته مثلما تقدم

فحينئذ تحقق القديس وزوجته ان هذين الولدين هما ولداهما فياله من فرح لا يوصف قد استحوذ على قلب القديس وياله من حبور لا ينعت قد استولى على قلب زوجته القديسة ثاوبيستي وياله من ابتهاج وسرور دخل على قلبي الاخوين

لها صلة